القول المنصور في التحذير من بدعة تحري الدعاء عند القبور

تأليف

أبي أنس السيد بن عبد المقصود

أضواء السلف



الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٣٥٤٤ / ١ - ١١ - ٢٠٠٧م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ابن عبد المقصود ، أبي أنس السيد
القول المنصور في التحذير من بيدعة تحري الدعاء عند القبور / تأليف أبي أنس السيد بن عبد المقصود . - [د . م] أضواء السلف ، ٢٠٠٧م
١٤٤ ص ؛ ٢٤سم
١- البدع في الإسلام
٢- الأدعية والأوراد ٣- المرأة المقابر
أ - العنوان
٢١٢ , ٣

دار أضواء السلف

الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص ب ١٢١٨٩٢
الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٠٥٠٥٢٨٠٣٢٨

القول المنصور في التحذير
من
بدعة تحري الدعاء عند القبور


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ نَحْمده ونستعينه ونستغفره ، ونَعُوذُ باللَّه من شُرُور أَنْفُسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِـلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أنْ لا إله إلّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله ، اللهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه الرسالة الأولى من سلسلتنا في التحذير من بدع القبور نستفتح بها هذا المشروع المهم في تبصير المسلمين في كل مكان بخطورة البدع ، جمعتها نصحًا لإخواني المسلمين ، وبَيَّنْتُ فيها : أقسام وأحوال الدعاء عند القبور وما يجُوز منه وما لا يجوز ، مُبَيِّنًا مفاسد بدعة تحري الدعاء عند القُبور ، كما قمت بالردِّ على شبهات القائلين بأن الدُّعاء مستجاب عند القبور . وقد وسميتها : « **القول المنصور في التحذير من بدعة تحري الدعاء عند القبور** » ، سائلاً الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يجعلها خالصة لوجهة وأن يدَّخر لي ثوابها ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

كما أسأله أن يوفق طابعها وناشرها وقارئها إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو أنس السيد بن عبد المقصود

الرياض ـ غرة رمضان ١٤١٢هـ



تمهيد
بين يدي الكتاب

المقصد الأول : في فضل الدعاء والترغيب فيه والترهيب من تركه

المقصد الثاني : في فوائد الدعاء

المقصد الثالث : تعريف البدعة لغة واصطلاحا

المقصد الرابع : تقسيم حالات الدعاء عند القبور

المقصد الأول

في فضل الدعاء والترغيب فيه والترهيب من تركه

لقد تَوَاترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في بيان فضل الدُّعاء وعِظَم منزلته والحثّ عليه ، كما تواردت الأخبار عنه في الترهيب من تركه .

والأحاديث في كلا الأمرين كثيرة وإليك بعضها :

* فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »(١) وكيف لا يكون كذلك وهو مظهر من مظاهر الافتقار والتذلل لله تعالى !

* وقال رسول الله ﷺ : « أفضل العبادة الدعاء »(٢) .

* وثبت عنه ﷺ أنه قال : « الدعاء هو العبادة » ؛ ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠](٣).

قال العلامة الشوكاني رحمه الله : « الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها . . . » .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، وابن ماجه (٣٨٢٩) ، الحاكم (١ / ٦٦٦) ، وصححه ووافقه الذهبي والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢) ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٤٠١) .

(٢) رواه الحاكم (١ / ٤٩١) من طريقين يقوي أحدهما الآخر من حديث ابن عباس ، وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة » (١٥٧٩) .

(٣) رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٣٣٧٢) ، وابن ماجه « ٣٨٢٧ » ، وأحمد (٤ / ٢٦٧) ، والحاكم (١ / ٤٩٠ ، ٤٩١) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) وغيرهم ، كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وصححه الترمذي ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٤٠١) .

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ : « والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه ، ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة ، وأنَّ تَرْكَ دعاء الرب سبحانه هو استكبار ولا أقبح من هذا الاستكبار وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له ، ورازقه وموجده من العدم خالق العالم كله ، ورازقه ، ومحييه ، ومميته ، ومثيبه ومعاقبه ! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون ، وشعبة من كفران النعم »[١] اهـ .

* وقد رغَّب النبي ﷺ في دعاء المولى تبارك وتعالى فقال : « سلوا الله في كل شيء حتى الشسع ؛ فإن الله عز وجل إن لم ييسره لم يتيسر »[٢] .

فأفاد هذا الحديث أن العبد يسأل ربه كل شيء ولا يحتقر شيئاً مهما صغر لأن الأمور كلها بيد الله ، وتجري وفق مشيئته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمسلم يلجأ دائما إلى ربه في السراء والضراء ، في أمور دينه ودنياه ، وليعلم أنه مثاب على دعائه ، وأن دعوته إذا توافرت فيها شروط الدعاء والإجابة قُبِلت وكان لها فائدة عظيمة .

وقال رسول الله ﷺ : « ما على الأرض مسلم يدعو الله تبارك وتعالى بِدَعوةٍ إلا أتاه إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم »[٣] .

* وأما من ترك الدعاء فذلك دليل على عَجْزِه وَكَسَلِه في طاعة الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعجز الناس من عجز عن الدعاء

---

(١) « تحفة الذاكرين » ص ٣٣ .

(٢) رواه ابن السني (٣٤٩) وحسنه الألباني في « السلسة الضعيفة » (٢١) .

الشسع : هو أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الإصبعين « النهاية » (٢ / ٢٧٤) .

(٣) رواه أحمد (٣ / ١٨) أبو يعلى (١٠١٩) ، البزار (٣١٤٤) ، الحاكم (١ / ٦٦٦) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ص ٧٤ .

وأبخل الناس من بخل بالسلام »[١] .

بل إن تارك الدعاء يُخْشَىٰ عليه من غضب الله تعالى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله يغضب عليه »[٢] .

والداعي مأجور على دعائه ؛ لأنه قام بعبادة عظيمة لها منزلة جليلة فمن أُلْهِمَ الدعاء فلا يحمل همًّا للإجابة فإنَّ الله قد وَعَدَ بها فقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والله سبحانه وتعالى هو الذي يكشف الكرب ويرفع البلاء ، ويجلب النفع ويرد الضال ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو الذي يملك الرزق والموت والحياة ، والبعث والنشور .

فحري بالعبد أن يسأل مولاه قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

فالذي يُجِيبُ دعوتك هو الله ، والذي يُفَرِّج همَّك وكربك هو الله . وقد أحسن من قال :

لا تسألن بنيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابُه لا تحجب
الله يَغْضَبُ إن تركت سؤاله ... وبنيّ آدم حين يُسأل يغضب

* وقال الله تعالى : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] .

يقول الشيخ عبد الرحمن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية : « فوضع كلمة الدين

---

(١) رواه الطبراني (٥٥٩١) في الأوسط كما في الجامع الصغير ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١ / ٣٤٦) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٣) وابن ماجة (٣٨٢٨) و أحمد (٢ / ٤٤٣ ، ٤٤٢) الحاكم (١ / ٦٦٨ ، ٦٦٧) والبغوي في شرح السنة (٥ / ١٨٨) والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨) والطبراني في الدعاء (٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ٣٠٤) .

موضع كلمة الدعاء وهو في القرآن كثير جدًّا ، يدل على أن الدعاء هو لبُّ الدين وروح العبادة ، ومعنى الآية هنا . اخلصوا له إذا طلبتم حوائجكم ، وأخلصوا له أعمال البر والطاعة »[١] .

ومن أهمية الدعاء كونه من أعظم العبادات ويكفى أنه « ذُكِرَ في القرآن في ثلاثمائة موضع »[٢] .

يقول الشيخ حسين بن مهدى النعمي رحمه الله : « ومن أمعن النظر في آيات الكتاب ، وما قص من محاورات الرسل مع أممهم ؛ وجد أن أُسَّ الشأن ، ومحط رحال القصد شيوعًا وكثرة وانتشارًا وشهرة ، هو دُعاء الله وحده ، وإخلاص العبادة له »[٣] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) « القواعد الحسان » ص (١٥٥) .

(٢) « الدرر السنية » (٩ / ٤١٨) .

(٣) « معارج أولى الألباب » ص (٢١٤) .

المقصد الثاني

في فوائد الدعاء

للدعاء فوائد كثيرة نذكر منها نُتَفًا يسيرة تَذْكرة لأولى الألباب .

فنقول وبالله التوفيق :

*** الدعاء سبب في تخفيف البلاء إن لم يرده :**

وذلك حسب قوة الدعاء وصدق الداعي وإخلاصه ، وقوة يقينه ، وإذا تخلفت الإجابة فإنما ذلك لوجود موانع للدعاء كأخذ الحرام أكلًا وشربًا وملبسًا وغير ذلك من الموانع ولا شك في هذا فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر »[١] .

وثبت عنه أيضًا أنه قال « الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء »[٢] .

*** الدعاء سبب لغفران الذنوب لمن دعا بالمغفرة :**

وهذا ما بَشَّرَ به هذا الحديث ، فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال : « يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني ؛ غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني ؛ غفرت لك على ما كان ولا بالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة »[٣] .

---

(١) رواه الحاكم والترمذي (٢١٣٩) ، من حديث سلمان رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٦ / ٢٣٠) .

(٢) رواه الحاكم (١ / ٦٦٧) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٣ / ١٠١) .

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٠) ، من حديث أنس رضي الله عنه ، وحسنه الترمذي . =

وأفاد هذا الحديث أن أهم ما يسبب للعبد مغفرة الذنوب توحيده لله تعالى .

*** الدعاء سبب في قَتْلِ الظلمة والكافرين وهزيمتهم ، وإنزال العذاب بهم وتدمير عروشهم :**

* قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى وأخيه هارون : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] .

ففي هذه الآية دعا موسى على فرعون وقومه ، وثبت أن هارون أمَّن على دعائه واستجاب الله تبارك وتعالى لهما فقال سبحانه : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٨٩] .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ « وهذه دعوة كانت من موسى عليه السلام غضبًا لله ولدينه على فرعون وملائه الذين تَبيَّنَ أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء » اهـ[١] .

وفي الآية : دليل على وجوب الاستقامة على المنهج فليعلم الدعاة ذلك وفيها أيضا تَرْكُ سبيل القوم المجرمين ، وذلك كله عليه معول كبير في استجابة الدعوة . وأما دعوة موسى وهارون فقد استجابها الله تعالى وأغرق[٢] فرعون وجنوده

= وقال الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (٢ / ٤٠١ ، ٤٠٢) : « إسناده لا بأس به » ، ومن ثم أورد له شواهد ، وحسنه الألباني « الصحيحة » (١ / ١٩٩ ، ٢٠٠) .

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٤٥) .

(٢) وقد جاء في السنة صفة غرقه فروى أحمد (١ / ٢٤٠ ، ٣٤٠) وغيره من حديث ابن عباس مرفوعا : « قال لي جبريل لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة » والحديث صححه الألباني أورد له شواهد في « الصحيحة » برقم (٢٠١٥) . والحال : الطين الأسود كذا في (نهاية الأثير) هذا وقد طعن الزمخشري المعتزلي في هذا الحديث بكلام بارد سمج رد عليه الحافظ ابن حجر ردًا ممتعا فراجعه في تخريج الكشاف عند هذه الآية في سورة يونس .

وكانوا آية وعبرة لمن بعدهم من المكذبين الضالين وكان يوما مشهودًا .

* قال الله تعالى : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] .

وفي هذه الآية دليل على أن الله تبارك وتعالى استجاب دعوة موسى وأخيه ثم إنَّ هذا الإيمان الاضطراري لا ينفع ، ولا يقبله الله تعالى من فرعون ولا من غيره لأنه إيمان اضطراري عند معاينة العذاب الدنيوي . ومما يدل على أن هذا الإيمان لم يقبله الله ، ما ذكره الله تعالى في الآية التي بعدها مباشرة .

* وقال الله تعالى وتقدس : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] .

وهذا تبكيت لفرعون وتوبيخ له وقد ذكر الله تعالى في سورة غافر عدم الاعتداد بإيمان المضطر فقال : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ ، ٨٥] .

ومن ظن أن فرعون آمن إيمانا يعتد به - كغلاة الاتحادية من اتباع ابن عربي الصوفي - فقد أخطأ خطأً بيّنًا .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وجاوزت بنو إسرائيل البحر فلما خرج أخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية إلى الأخرى ، وهم في مائة ألف أدهم سوى بقية الألوان فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وَهَمَّ بالرجوع وهيهات ولات حين مناص ، ونفذ القدر ، واستجيبت الدعوة ، وجاء جبريل على فرس وديق[1] حائل فمر إلى جانب حصان فرعون فحمحم إليها واقتحم جبريل البحر فاقتحم الحصان وراءه ، ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئا فتجلد

---

(١) الفرس الوديق : هي التي تريد الفحل للوقاع .

لأمرائه ، وقال لهم ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا فاقتحَمُوا كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقتهم ، ولا يترك منهم أحدًا إلا ألحقه بهم فلما استوثقوا وتكاملوا وهَمَّ أولهم بالخروج منه أمر الله القدير بالبحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم ، فلم ينج منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٩٠] ، فآمن حيث لا ينفعه الإيمان » اهـ[1] .

وما صنع بفرعون ما صنع إلا لأنه طغى وبغى وادَّعى الألوهية حيث أعلنها في مَلَئِه قال الله حكاية عنه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨] .

وهذا العذاب الدنيوي الذي لحق بفرعون وجنوده تبعه عذاب في البرزخ وسيتلوه عذاب من أشد العذاب يوم الفصل يوم تقوم الساعة .

قال الله تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود : ٩٨ - ٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص : ٤١ - ٤٢] .

ثم إن الله تعالى دمر عروشهم وأورثها قوما آخرين قال الله تعالى عنهم : ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الدخان : ٢٥ - ٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢/ ٤٤٦ ، ٤٤٥) .

وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وقال الله تعالى حكاية عن قوم نوح : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠ ، ٩] .

وكان نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام قد دعاهم إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك واستخدم لهم كافة الأساليب في الدعوة ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأعرضوا وكذبوا ، وآذوه وما آمن معه إلا قليل فلما آيس من خيرهم ودعا عليهم استجاب الله له وأهلكهم بالغرق .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٦٢ - ٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات : ٧٥ - ٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ - ٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر : ١١ - ١٤] .

بل « نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار »(١) ؛ قال الله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح : ٢٥] .

* ولما اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ دعا على رؤوس الكفر منهم واستجاب الله له .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٤٥٦) .

وهذا الحديث الآتي يوضح ذلك ، ويوضح أيضًا مقدار ما كان يعانيه رسول الله ﷺ من هؤلاء السفهاء :

* فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم : أيكم يقوم إلى جزور[١] آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها[٢] ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ، فانبعث أشقاها ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه وثبت النبي ﷺ ساجدًا ، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها ، فأقبلت تسبهم فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : « اللهم عليك بقريش ثلاثا - وكان ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثا - اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر وسحبوا إلى القليب قليب بدر . ثم قال النبي ﷺ واتبع أصحاب القليب لعنة »[٣] .

* وقد بوّب البخاري عليه باب الدعاء على المشركين وكذلك في كتاب الجهاد ، وكذا بوب عليه في كتاب المغازي : باب : دعاء رسول الله ﷺ على

---

(١) **الجزور من الإبل** : ما يجزر أي يقطع .

(٢) **السلى** بفتح المهملة : التي يكون فيها الولد يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الآدميات فالمشيمة راجع : « الفتح » (١ / ٤١٧) .

قال العلامة بدر الدين العيني : « كان النبي ﷺ يدعو على المشركين حسب ذنوبهم وإجرامهم ، وكان يبالغ في الدعاء على من اشتد أذاه من المشركين ، ألا ترى أنه لما أيس من قومه قال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . » الحديث . ودعا على أبي جهل بالهلاك ودعا على الأحزاب الذين اجتمعوا يوم الخندق بالهزيمة والزلزلة فأجاب الله دعاءه فيهم » عمدة القاري (١٨ / ٣٩٢) .

(٣) رواه البخاري (٧ / ٣٤١) كتاب المغازي : باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش .

كفار قريش : شيبة وعتبة والوليد وأبي جهل بن هشام وهلاكهم .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنين فولى أصحابه رضي الله عنهم فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل على البغلة ثم قبض قبضة من التراب ثم استقبل به وجوهم فقال : شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين »[١] .

*** الدعاء سبب من أسباب النصر على الأعداء :**

* قال الله تعالى يحكي عن نوح عليه السلام : ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤] .

* وقال الله تعالى يحكي عن نبيه لوط : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٠] .

ونصره الله تعالى عليهم فأهلكهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ - ٨٣] .

* وقال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩ - ١٠] .

* وقال النبي ﷺ وهو في قبة يوم بدر : « اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم »[٢] .

---

(١) رواه مسلم (١٤٠٢) : كتاب الجهاد والسير : باب في غزوة حنين ، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٤٨٧٦) ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

* وكان من هديه ﷺ عند لقاء الأعداء جهادهم باللسان ومنازلتهم بالسنان يجمع بين نوعين من الجهاد : جهاد اللسان وجهاد النفس .

قال ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(١) .

ولاشك أن إنشاد الشعر فيهم والكتابة ضد مخططاتهم يدخل في الجهاد باليد .

* ومما يؤكد أن النصر على الأعداء من أهم أسبابه الالتجاء إلى الله بالدعاء :

قال ﷺ « أبغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم »(٢) .

أي بدعائهم وإخلاصهم . وهو واضح في حديث آخر قال فيه ﷺ « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ؛ بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم »(٣) .

وهذا كله مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

ولاشك أن الداعي عند لقاء الأعداء حريٌ به أن يكون ذاكرًا لله تعالى .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « أمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم » اهـ(٤) .

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٤) ، والنسائي (٦ / ٧) ، وابن حبان (٧ / ١٠٤) والحاكم (٢ / ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣ / ٧٩) .

(٢) رواه أبو داود (١ / ٤٠٥) والنسائي (٢ / ٦٥) والترمذي (١٧٠٢) وابن حبان (٢ / ١١٦) وأحمد (٥ / ١٩٨) من حديث أبي الدرداء وقال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢ / ٤٢٢) .

(٣) رواه النسائي (٢ / ٦٥) وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٢٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص ، وصحح سنده الألباني في « التوسل » ص (١١٢) ، و « الصحيحة » (٢ / ٤٢٣) .

(٤) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٣٢٩) .

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قام النبي ﷺ وقال : اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وفي رواية النسائي « اهزمهم وزلزلهم »(١) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا خاف قومًا قال : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بالله من شرورهم »(٢) .

✽ الدعاء سبب النجاة من الظالمين ، وكف الأذى ، وكشف الكروب .

✽ قال الله تعالى حكاية عن نبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ✽ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٧ - ١١٨]

✽ وقال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢١] .

وبعد هذه الآية بآيات : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢٥] .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أدعية كثيرة في كشف الكرب .

منها عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « إن رسول الله ﷺ كان يقول في الكرب (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب

---

(١) رواه البخاري (٦ / ١١٠) كتاب الجهاد وغيره ، باب لا تتمنوا لقاء العدو ، ومسلم (١٧٤١) كتاب الجهاد ، باب كراهية تمني الموت ، والنسائي في الكبرى (٥ / ١٨٨) والحاكم (٢ / ٨٧) والبيهقي (٩ / ١٥٢) .

(٢) رواه أبو داود (١٥٣٧) والنسائي في الكبرى (٥ / ١٨٨) وأحمد (٤ / ٤١٤ ، ٤١٥) وابن السني (٣٣٣) وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٤ / ٢١٥) .

السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) »[١] .

وهذا الدعاء له تأثير عجيب في كشف الكرب وتحضرني فيه قصة أوردها الإمام ابن بطال « أحد شرّاح البخاري » ؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ : « حدثني أبو بكر الرازي قال كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث عنه وهناك شيخ يقال له أبو بكر ابن علي عليه مدار الفتيا ، فسعي به عند السلطان فسجنه فرأيت النبي ﷺ في المنام وجبريل عليه السلام عن يمينه ويحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي ﷺ : قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري « يقصد هذا الدعاء » حتى يفرج عنه قال : فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلا حتى أُخرِجَ من السجن » .

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : أَرْسَلَ إِليَّ الحجاج فقلتهن فقال الحجاج : « والله أرسلت إليك وأنا أريد أن أقتلك فأنت اليوم أحب إليّ من كذا وكذا » .

كذا نقله الإمام العيني[٢] وزاد قصة الحسن ولا شك أن الرؤيا من المبشرات فيستأنس بها ولا يؤخذ منها أحكامٌ شرعية من حلال وحرام ومكروه ومندوب .

* ومن أدعية الكرب وتفريج الهمّ : دعوة ذي النون عليه السلام[٣] وهي قوله كما حكاه الله عنه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ

---

(١) رواه البخاري (٧ / ١٥٤) كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ، ومسلم (٤ / ٢٠٦٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب الدعاء عند الكرب .

(٢) « عمدة القاري » لبدر الدين العيني (١٨ / ٣٣٦) .

(٣) وقد ورد في فضل هذه الدعوة ما رواه الترمذي (٥ / ٥٢٩) والحاكم (١ / ٥٠٥) وأحمد (١ / ١٧٠) وصححه ووافقه الذهبي من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا . ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه ؟ فقيل له : بلى . فقال : « دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ، وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم (١٧٤٤) .

ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨ - ٨٨] .

* ومن فوائد الدعاء أنه يعصم الله به من فتن النساء وكيدهن قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ * فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٣ - ٣٤] .

* وقال الله حكاية عن آسية امرأة فرعون رضي الله عنها : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

قال الحسن البصري رحمه الله : « لما دعت بالنجاة نجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتنعم »[١] .

وكان فرعون اللعين يعذبها على إيمانها ، وكانت مثالا للمؤمنات في الصبر على البلاء .

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « كانت امرأة فرعون تُضرب في الشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكانت إذا تولوا عنها أطلقتها الملائكة قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة .. الآية قال : فكشف لها بيتها في الجنة[٣] .

---

(١) حكاه عنه صاحب « البحر المحيط » برقم (١٧٤٤) .

(٢) رواه ابن جرير (١٢ / ١١٠) والحاكم (٢ / ٥٣٨) وقال صحيح على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي وزاد السيوطي نسبته في « الدر المنثور » (٦ / ٣٧٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في « الشعب » .

(٣) رواه أبو يعلي كما في « المطالب » لابن حجر (٣ / ٣٩٠) وصححه وزاد السيوطي نسبته في =

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ هذه المرأة آسية بنت مزاحم رضي الله عنها عذبها فرعون فشد يديها ورجليها بالأوتاد وهي صابرة ، فرأت بيتها في الجنة فضحكت حين رأته فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها في الجنة فهي من النساء كالغراب الأعصم ، والكبريت الأحمر »[١] .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه وكانت فراستها في موسى عليه السلام صادقة حين قالت : قرة عين لي »[٢] .

وأقول : لعل في مَثَلِ آسية رضي الله عنها درسا في الصبر على البلاء وما ضر آسية وصلة الكفر حيث كانت تحت أعدى أعداء الله في الأرض .

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : « كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه »[٣] .

وقد رفع الله درجتها في الدنيا أيضا على لسان رسول الله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون

= « الدر » (٦ / ٣٧٧) للبيهقي وصحح السيوطي سنده أيضًا .

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٤٢٠) .

(٢) « فتح الباري » (٦ / ٥١٦) .

(٣) رواه ابن جرير (١٢ / ١١٠) وزاد السيوطي في « الدر المنثور » (٦ / ٣٧٧) نسبته لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) رواه البخاري (٦ / ٥١٤) : كتاب الفضائل : فضل عائشة رضي الله عنها .

وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[١] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون »[٢] .

والدعاء يرفع العذاب قال الله تعالى حكاية عن قوم يونس عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .

ومعنى « آمنوا » أي آمنوا ودعوا كما قال بعض المفسرين وملخص قصتهم أن نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام لما بعثه الله فيهم فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا من ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه فرفع الله عنهم العذاب بإيمانهم وتضرعهم .

وقد روى قصتهم ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق عمر بن ميمون عن ابن مسعود موقوفا بسند صححه ابن حجر[٣] .

وقد حكى الله تعالى نجاة قوم موسى وهارون حيث أذاقهم فرعون النكال والعذاب .

قال الله تعالى حكاية عن موسى إذ قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۞ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤ - ٨٦] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٧٨) وأحمد (٣/ ١٣٥) وابن حبان (٢٢٢٢) والحاكم (٣/ ١٥٧) ، من حديث أنس وقال الترمذي صحيح وَصحح إسنادَ الترمذي ابنُ حجر في « الفتح » (٦ / ٥٤٣) وتابعه الألباني في « صحيح الجامع » (٣/ ٢٩١) .

(٢) « فتح الباري » (٦ / ٥٢١) .

فاستجاب الله لهم فقال في معرض الامتنان : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾ [الصافات : ١١٤ - ١١٦] .

وفي قصة الغلام المؤمن الذي استعلن بإيمانه ، ورضي بالله ربا ، ورفض عبادة غير الله حيث حاك به الكافرون ودبروا له المكايد فثبت بتثبيت الله له ، من المؤمرات التي دبرها أولئك الطغـاة ، أنهم أخذوه إلى قمـة جبل ليطرحوه منها إن لم يرجع عن دينه ، فقال بلسان المؤمن الصادق الواثق بنصر الله « اللهم اكفنيهم بما شئت » فحدث ما لم يكن في حسبانهم حيث رجف بهم الجبل فسقطوا ونجاه الله منهم ثم إن مؤامراتهم لم تقف عند هذا الحدِّ بل أعادوا كَرَّة القتل معه مرة أخرى بأسلوب جديد ، فعمدوا إلى وضعه في قرقور[١] وتوسطوا به عرض البحر ، وساوموه على دينه إن لم يرجع وإلا أغرقوه ، فقال الغلام المؤمن « اللهم اكفنيهم بما شئت » فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجاه الله من الكافرين[٢] .

وكذلك في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وانكفأت عليهم صخرة فَسَدَّت فم الغار ، فلم يتمكنوا من الخروج ، فدعا كل منهم بصالح عمله فاستجاب الله لهم ، وكشف كربهم ، وخرجوا يمشون[٣] .

وفي حديث الهجرة الطويل من حديث البراء بن عازب وفيه : « واتبعنا سراقة بن مالك فقلت يا رسول الله : أُتينا فقال : لا تحزن إن الله معنا فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها في جَلَدٍ من الأرض فقال : أراكما دعوتما عليَّ فادعوا

---

(١) **قرقور** : هي السفينة الصغيرة .

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥) كتاب الزهد الرقائق : باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام .

(٣) رواه البخاري (٢٢١٥) كتاب البيت : باب إذا اشترى شيئا للغير بغير إذنه فرضي . ومسلم (٢٧٤٣) (١٠٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب قصة أصحاب الغار .

لي الله ، ولكما أن أردَّ عنكما الطلب ، فدعا له النبي ﷺ فنجى فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال : كفيتم ما ههنا فلا يلقى أحدًا إلا رده »(١) .

وقد أفاد الحديث بيان فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وكيف حمى ربنا تبارك وتعالى نبيه ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه كما أفادت الأحاديث السابقة أن قوة الإيمان وصدق اليقين لهما أثر كبير في إجابة الدعوة وأن البلاء الذي يصيب الدعاة إلى الله يرفع درجتهم في الدنيا والآخرة وليس انتقاما من الله كما يفهم ذلك من لاحَظَّ له ، ثم إن هذا البلاء له ثواب عند الله إذا كان صاحبه قد أخلص لله عز وجل وصبر محتسبًا .

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والذين يُؤْذَوْن على الإيمان ، وطاعة الله ورسوله ويحدث لهم بسبب ذلك حرج أو مرض أو حبس أو فراق .. أو ذهاب مال وأهل أو ضرب أو شتم أو نقص رياسة ومال هم في ذلك على طريقة الأنبياء وأتباعهم كالمهاجرين الأولين فهؤلاء يثابون على ما يُؤْذَوْنَ به ويكتب لهم به عمل صالح كما يثاب المجاهد على ما يصيبه من الجوع والعطش والنصب وعلى غيظه الكفار » اهـ(٢) .

*** الدعاء سبب لجلب الرزق بجميع أنواعه من مال وبنين وعلم وفهم ومنصب وغير ذلك .**

قال الله تعالى حكاية عن نبيه إبراهيم ﷺ : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ٩٩ - ١٠١] .

والفاء تدل على سرعة استجابة الدعاء وقد استجاب الله دعائه وثبتت البشارة بذلك كما في الآية السابقة ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

---

(١) رواه مسلم (١٨ / ١٤٧) كتاب الزهد والرقائق : باب ١٨ .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ١٢٤) .

وقال الله تعالى حكاية عن نبيه زكريا : ﴿ كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : ١ - ٦] .

دعا نبي الله زكريا أن يهب الله له غلاماً وكان قد بلغ نبي الله من الكبر عتيا ، وهُنا يقضي الواحد الواهب سبحانه وتعالى لأنه إذا قضى أمرا فإنه يقول له كن فيكون .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٧] .

فلما جاءت البشارة نبي الله زكريا بالولد تعجب وقال : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم : ٨] .

وهنا يؤكد له الوحي أن أمر الله نافذ ، وكل هذا على الله هين ويسير ، وأن الذي خلقك من العدم قادر على إعطائك الولد .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٩] .

ومن محاسن دعوة نبي الله زكريا أنه دعا الله أن يأتيه بغلام ثم دعا للغلام قبل أن يأتيه بقوله ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩- ٩٠] .

وخزائن الله تعالى مملوءة وعلى العبد أن يطلب بصدق وإخلاص وافتقار وتذلل لله رب العالمين

قال النمر بن تولب[١] :

وإن تصبك خصاصة فارج الغني وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

*** الدعاء سبب لرفع الوباء وجلب الشفاء من الأمراض .**

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لأحد أصحابه : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت : أصبر ثم قالت : إنني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها »[٢] .

وفي الحديث ما يدل على أن علاج الأمراض بالدعاء والالتجاء إلى الله وأن ذلك أنفع وأنجح من العقاقير[٣] وإنما ينجع العلاج بالدعاء بأمرين : أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد ، والآخر من جهة المداوى وهو قوة توجهه إلى الله وقوة قلبه بالتقوى والتوكل .

قلت : وهذا إذا طلب شخص من شخص الدعاء له وأما إذا دعا شخص لنفسه فلا بأس بذلك بل هذا هو الأصل ، والمقصود أن يجتهد في الدعاء ويخلص فيه ، فإن كاشف الضر والبلوى هو الله .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحب مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة »[٤] . وبوب عليه البخاري : باب الدعاء برفع الوباء والحمى .

وقال الحافظ رحمه الله : « وقد يكون « أي الدعاء » من جملة الأسباب بطول العمر

---

(١) « الاستيعاب » على هامش « الإصابة » (٩ / ٣٨٣) .

(٢) رواه البخاري (١٠ / ١١٤) كتاب المرضى : باب فضل من يصرع بالريح .

(٣) ولا يعني ذلك ترك التداوي كما هو معلوم لقوله ﷺ : « تداووا عباد الله . . . الحديث » .

(٤) رواه البخاري (١٠ / ١٣٣) كتاب الدعوات : باب الدعاء برفع الوباء .

أو رفع المرض ، وقد تواترت الأحاديث بالاستعاذة من الجنون والجذام وشتى الأسقام : ومنكرات الأخلاق والأهواء والأدواء فمن ينكر التداوي بالدعاء يلزمه أن ينكر التداوي بالعقاقير ولم يقل بذلك إلا شذوذ والأحاديث الصحيحة ترد عليهم وفي الالتجاء إلى الله بالدعاء مزية لما فيه من الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة اتكالا على ما قُدِّر فيلزم ترك العمل جملة ، وردُّ البلاء بالدعاء كردِّ السَّهم بالتّرس وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يتترس من رُمِيَ بالسهم »(١) .

انتهى المقصود من كلام الحافظ ونقلته بتصرف يسير .

وقال رحمه الله في موضع آخر : « ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع »(٢) .

وقد حكى الله تعالى لنا في القرآن قصة نبي كريم أصابه المرض فدعا ربه وقد لبث هذا النبي في مرضه ثمانية عشر عاما إنه نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣ - ٨٤] .

وإليك قصته كما وردت في السنة ففيها تسلية لأهل المصائب وحث لهم على الصبر الجميل .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن نبي الله أيوب ﷺ لبث في بلائه ثمان عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم : تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين ، فقال له صاحبه وما ذاك ؟ قال : منذ ثمان

---

(١) « فتح الباري » (١٠ / ١٣٣) .

(٢) « فتح الباري » (١٠ / ١٩٦) .

عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به ، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب : لا أدري ما تقولان غير أن الله يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفِّر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب أن « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » فاستبطأته ، فتلقته تنظر ، وقد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت : أي بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله المبتلى ، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحا ، فقال : فإني أنا هو ، وكان له أندران « أي بيدران » أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض »[1] .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) رواه ابن حبان (٢٩٠١) وأبو يعلي (١ / ١٧٧ ، ١٧٦) أبو نعيم في الحلية (٣ / ٣٧٤ - ٣٧٥) من طريق نافع بن يزيد أخبرني عقيل عن ابن شهاب عن أنس مرفوعًا : وصححه الألباني في « الصحيحة » برقم (١٧) .

المقصد الثالث

تعريف البدعة لغة واصطلاحًا

يجدر بنا قبلَ الكلام عن البدع التي نحذر منها في سلسلتنا هذه أن نعرّف البدعة ونذكّر بالتحذير منها من خلال النصوص الشرعية .

فالبدعة لغة : تطلق على معنيين [(١)]

المعنى الأول : الشيء المخترع على غير مثال سابق

ومنه قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١١٧] .

أي : مخترعها على غير مثال سابق .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الاحقاف : ٩] .

ويقال : ابتدع فلانٌ بدعةً ؛ يعني ابتدأ طريقة لم يَسْبِقه إليها أحد .

المعنى الثاني : التعب والكلال : ومنه قوله : أَبْدَعَت الإبلُ ، إذا بَرَكَتْ في الطريق من هُزَال أو داءٍ أو كلالٍ .

ومنه قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال : إني أُبْدِعَ بي فاحملني فقال : « ما عندي » فقال رجل : يا سول الله أنا أَدُلُّه على من يحمله فقال رسول الله ﷺ « من دلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله »[(٢)]

أما معنى البدعة وحدّها في اصطلاح العلماء :

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : « المراد بالبدعة مَا أُحْدِثَ ممَّا لا أَصْلَ له في الشَّريعة يدلُّ عليه »[(٣)] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « ما أُحِدثَ ولا دليلَ له من الشرع بطريق

---

(١) « مختار الصحاح » ص (٤٣ ، ٤٤) ، « المصباح المنير » ٣٨ ، « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١ / ١٠٦ ، ١٠٧) .

(٢) رواه مسلم (١٣ / ٣٨ - ٣٩)

(٣) «جامع العلوم والحكم » ص (٢٦٥)

خاصّ ولا عام »[١]

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله « هي طريقةٌ في الدِّين مخترعةٌ تُضاهي الشَّرعية يُقْصَدُ بالسُّلوكِ عليها المُبَالَغَةُ في التَّعبُّدِ لله سُبحانه »[٢]

ويتبيَّن مما سبق :

- أن ما كان له أصل في الشرع المطهر لا يدخل في مسمَّى البدعة .
- أن البدعة المذمومة ما كانت في الدين من إلحاق عبادات أو اعتقادات ليست منه .
- أن الأمور الدنيوية لا دخل للبدعة فيها .
- أن ما لا أصل له سواء كان قولًا أو فعلًا أو عقيدة كل ذلك يدخل في مسمَّى البدعة .

التحذير من البدعة والإحداث في الدين

حذَّرَنا ربُّنا تبارك وتعالى وكذلك نبينا ﷺ من الابتداع في الدِّين وسُلوك سَبيل أَهل البدع والأهواء ، والنُّصوص في ذلك كثيرة اقتصر على طائفة منها :

فمن ذلك : ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : قال رسول الله ﷺ فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم[٣]

ومن ذلك : ما جاء عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم وفضلات الأهواء »[٤] .

---

(١) « فتح الباري » (١٣ / ٢٥٤)

(٢) « الاعتصام » (١ / ٥٠)

(٣) رواه البخاري (٥ / ٧١ » واللفظ له ، وأبو داود (٤٥٩٨) .

(٤) رواه ابن أبي عاصم في كتاب « السُّنَّة » رقم (١٤) .

قلت : صدق رسول الله ﷺ ، ومَن يُقَلِّب اليوم ناظريه في عالمنا يجد مِصْداق قول رسول الله ﷺ حيث انغمس أكثر الناس ما بين مُتَّبِعٍ لشهوة أو أسير شبهة والقليل مَنْ عَصَمهُ الله تعالى والمعصوم من عَصَمه الله .

ومن ذلك : ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثُمَّ خَطَّ عن يَمينه وعن شِمَاله خطوطًا ، ثم قال : هذا سَبيل الله وهذه السُّبُل على كُل سَبِيل منها شَيْطان يدعو إليه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] [(١)] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله : « فالصراط المستقيم هو سَبيلُ الله الذي دعا إليه وهو السُّنَّة ، والسُّبل هي سُبُل أَهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أَهل البدع »[(٢)] .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ قال : « البدع والشبهات » [(٣)] .

قلت : ومما يؤيد أن الصِّراط المستقيم هو الحق والسُّنَّة وطرق الضلالة هي طرق البدعة وهي الطرق الحائدة قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٩] .

قال الإمام ابن وضاح سُئِل عاصم بن بهدلة وقيل له يا أبا بكر أرأيت قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٩] قال : قال حدثنا أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال خطَّ عبد الله بن مسعود خطًّا مستقيمًا وخطَّ خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن شماله ، فقال خط رسول الله ﷺ هكذا . . . ثم ساق الحديث المتقدم [(٤)] .

---

(١) رواه الحاكم (٢ / ٣١٨) واللفظ له وكذا رواه ابن أبي عاصم في « السُّنَّة » برقم (١٧) وصححه الحاكم وحسّنه الشيخ الألباني رحمه الله في « ظلال الجنة » .

(٢) « الاعتصام » (١ / ٧٦) .

(٣) رواه الدارمي (ص ٦٨) .

(٤) ما جاء في البدع لابن وضاح ص ٧٣ .

قال الشاطبي رحمه الله : « فالسبيل القصد هو الطريق الحق ، وما سواه جائر عن الحق أي عادل عنه ، وهي طرق البدع والضلالات - أعاذنا الله من سلوكها بفضله - ، وكفى بالجائر أن يحذِّر منه ، فالمساق يدلُّ على التحذير والنهي »[١] .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

قال القاضي إسماعيل رحمه الله : « ظاهر القرآن يدلُّ على أن كل من ابتدع في الدين بدعة - من الخوارج وغيرهم - ؛ فهو داخل في هذه الآية ، لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعًا . .[٢]

وقال ابن عطية رحمه الله . . هذه الآية تعمّ أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدال والخوض في الكلام ، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد »[٣]

ومن ذلك : ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص من ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ؛ كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه ؛ لا ينقص من آثامهم شيئًا [٤] .

ومن ذلك : ما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ ، والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ

---

(١) الاعتصام (١ / ٧٨) .

(٢) المصدر السابق (٧٩ - ٨١) .

(٣) المصدر السابق (٧٩ - ٨١) .

(٤) رواه مسلم (١٦ / ٢٢٧) .

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة »[١]

قال الحافظ ابن رجب : قوله : « إياكم ومحدثات الأمور » تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة . .[٢]

ومن ذلك أيضًا : ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته « إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »[٣] .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : « قوله كل بدعة ضلالة » من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين »[٤] .

قلت : يعني هذا الحديث حيث انطلقت ألسنة العلماء في بيان شأنه وتفخيم أمره .

ومن ذلك : ما جاء من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ »[٥]

وفي رواية : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ »[٦]

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : « كل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات ، أو الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة »[٧]

---

(١) رواه أحمد (٤ / ١٢٦) واللفظ له وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) والترمذي (٢٦٧٦) وقال : حسن صحيح . وصححه الألباني رحمه الله في « ظلال الجنة » (٢٧)

(٢) « جامع العلوم والحكم » ص ٢٦٥

(٣) رواه النسائي (٣ / ١٨٨) وأصله في صحيح مسلم (٣ / ١٥٣)

(٤) « جامع العلوم والحكم » ص ٢٦٥

(٥) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٢ / ١٦)

(٦) رواها مسلم (١٢ / ١٦)

(٧) « جامع العلوم والحكم » ص ٢٦٥ .

وقال أيضًا : « فهذا الحديث بمنطوقه يدلُّ على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدلُّ بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود وقوله : « ليس عليه أمرنا » إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها ، فمن كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقًا لها فهو مقبول ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود »(١)

وقال العلامة ابن دقيق العيد : « هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهو من جوامع الكلم التي أوتيها المصطفى فإنه صريح في رد كل بدعة وكل مخترع ، ويُستدلُ به على إبطال جميع العقود الممنوعة ، وعدم وجود ثمراتها . . . وفي الرواية الأخرى وهي قوله : « من عمل عملًا » . . فهو ردٌّ صريح في ترك كل محدثة سواء أحدثها فاعلها أو سُبق إليها فإنه قد يحتج به بعض المعاندين ، إذا فعل البدعة فيقول ما أحدثتُ شيئًا فيحتج عليه بهذه الرواية ، وهذا الحديث مما ينبغي العناية بحفظه وإشاعته واستعماله في إبطال المنكرات فإنه يتناول ذلك كله »(٢)

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله كلامًا حسنًا عند شرحه لهذا الحديث قال : « وهذا الحديث من قواعد الدين لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر ، وما أصرحه وأدّله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام ، وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل ، فعليك إذا سمعت من يقول : « هذه بدعة حسنة » بالقيام في مقام المنع مسندًا له بهذه الكُلِّيّة وما شابهها من نحو قوله ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » طالبًا لدليل تخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته ، وإن كاع كنت قد ألقمته حجرًا واسترحت من المجادلة . . »(٣) .

---

(١) « جامع العلوم والحكم » ص ٥٨ - ٦٠ بتصرف

(٢) « شرح الأربعين » لابن دقيق العيد ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) « نيل الأوطار » (٢ / ١٣٥ - ١٣٦)

وقد أحسن أمير المؤمنين عمر بن العزيز رحمه الله إذ كتب إلى عدي بن أرطأة « أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ وتَرك ما أحدثه المحدثون فيما قد جرت سنته وكُفُوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سَنَّهَا من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم ؛ فإنهم على علم وقفوا ، وببصرٍ نافذ قد كَفّوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أحرى ، فلئن قلتم : أمر حدث بعدهم ؛ ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلّموا منه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مَقْصِّر ، وما فوقهم مَحْسَر ، لقد قصر عنهم آخرون [فجنوا ، وطمح عنهم أقوام] فَغَلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم »(١)

وقال الإمام مالك نجم السنن رحمه الله « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ، لأن الله يقول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا »(٢)

تذكر أيها المسلم أن :

* صاحب البدع محجوب عن التوبة حتى يترك بدعته ؛ لقوله ﷺ « إن الله حجز - أو قال : حجب - التوبة عن كل صاحب بدعة »(٣)

- صاحب البدعة مطرود عن حوض النبي ﷺ يوم القيامة ؛ لقوله ﷺ « فليذادنَّ رجال عن حوضي كما يُزَاد البعير الضال أناديهم : ألا هلمّ ألا هلمّ ألا هلمّ ، فيقال إنهم قد بَدَّلوا بعدك فأقول : فسحقًا فسحقًا فسحقًا »(٤) . والزود هو الدفع بشدة .

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١٢)

(٢) « الاعتصام » (١ / ٦٤ ، ٦٥)

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » وصححه الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١ / ٢١) .

(٤) رواه مالك (١ / ٢٨) وهو في مسلم (٣ / ١٣٧ - ١٣٩) .

* صاحب البدعة هالك مع الهالكين لمخالفته كتاب الله وسنة سيد المرسلين لقوله ﷺ : « لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك . . »[١]

* صاحب البدعة يخشى عليه من لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لقوله ﷺ : « المدينة حرم ما بين عَيْر إلى ثور ، من أحدث فيها حدثًا ، أو آوى محدِثًا ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا »[٢] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله « وهذا الحديث في سياق العموم ، فيشمل كلَّ حدث أُحدث فيها مما ينافي الشرع ، والبدع من أقبح الحدث ، . . . وهو وإن كان مختصًا بالمدينة ، فغيرها أيضًا يدخل في هذا المعنى .[٣]

* صاحب البدعة لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا . قيل في تفسيرها فرضًا ولا نفلًا وقيل العكس وقيل الصرف التوبة والعدل الفدية وقيل غير ذلك[٤] . ودليل ذلك ما سبق في الحديث « لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا »

* صاحب البدعة يُلقى عليه الذلّ في الدنيا والغضب من الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ هو عموم فيهم [أي في اليهود] وفيمن أشبههم ؛ من حيث كانت البدع كلها افتراء على الله ،

---

(١) رواه ابن أبي عاصم (١ / ٢٧) عن العرباض بن سارية وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند ابن ماجة (٥) وغيره .

(٢) رواه البخاري (٤ / ٨١) ومسلم (٩ / ١٤٢ - ١٤٤) من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) « الاعتصام » (١ / ٩٦)

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٣ / ١٤١) ط دار الريان للتراث .

حسبما أخبر في كتابه في قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١٤٠] .

فإذا كل من ابتدع في دين الله ؛ فهو ذليل حقير بسبب بدعته وإن ظهر لبادي الرأي في عزه وجبريَّته ؛ فهم في أنفسهم أذلاء . وأيضًا فإن الذلة الحاضرة في الدنيا موجودة في غالب الأحوال ، ألا ترى أحوال المبتدعة في زمان التابعين وفيما بعد ذلك ، حتى تلبسوا بالسلاطين ، ولاذوا بأهل الدنيا ، ومن لم يقدر على ذلك ، استخفى ببدعته ، وهرب بها عن مخالطة الجمهور ، وعمل بأعمالها على التقيَّة »(١)

ومن دُرَر الإمام الشاطبي رحمه الله قوله : « المبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه ، لم يبتدع ، ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم »(٢)

* والمبتدع معاند للشرع ، ومشاقّ له ؛ لأن الشارع قد عيّن لمطالب العبد خاصته على وجوه خاصة ، وقَصرَ الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأخبر أن الخير فيها ، وأن الشرَّ في تعدِّيها . . . إلى غير ذلك ؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين ، فالمبتدع رادٌّ لهذا كله ؛ فإنه يزعم أن ثَمَّ طرقًا أُخَر ، ليس مما حصره الشارع بمحصور ، ولا ما عَيَّنه بمتعيَّن ، كأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع ، وهذا إذا كان مقصودًا للمبتدع ؛ فهو كُفرٌ بالشريعة والشارع ، وإن كان غير مقصود ، فهو ضلال مبين »(٣) .

* المبتدع قد نَزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع . . .فهذا الذي ابتدع في دين الله قد صَيَّرَ نفسه نظيرًا ومضاهيًا للشارع ، حيث شرع مع الشارع وفتح

---

(١) « الاعتصام » (١ / ١٦٦ ، ١٦٧)

(٢) المصدر نفسه (١ / ٦٤)

(٣) المصدر نفسه (١ / ٦٥)

للاختلاف بابًا ، وردَّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك »[١] .

* المبتدع اتبع هواه بغير هدى من الله وهدى الله هو القرآن [٢] .

* المبتدع قدَّم هوى نفسه على هدى ربه ، فكان أضل الناس ، وهو يظن أنه على هدى [٣]

قلت : فما أحسن الاتباع وأجمله ، وما أقبح الابتداع وأرذله ومن أجرى السنة على نفسه نجا من المهالك والردى .

قال الزاهد العابد ذو النون المصري لرجل أوصاه : « ليكن آثر الأشياء عندك وأحبها إليك : إحكام ما افترض الله عليك ، واتقاء ما نهاك عنه ، فإن ما تعبَّد الله به خير لك مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي [لا] تجب عليك وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريد ، كالذي يؤدِّب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك ، وإنما للعبد أن يراعي أبدًا ما وجب عليه من فرض يُحكِمُه على تمام حدوده ، وينظر إلى ما نهى عنه فيتقيه على إحكام ما ينبغي ؛ فإن الذي قطع العباد عن ربهم ، وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان ، وأن يبلغوا حقائق الصدق ، وحجب قلوبهم عن النظر إلى الآخرة : تهاونهم بأحكام ما فرض عليهم في قلوبهم ، وأسمائهم ، وأبصارهم ، وألسنتهم وأيديهم ، وأرجلهم ، وبطونهم ، وفروجهم ، ولو وقفوا على هذه الأشياء ، وأحكموها ، لأدخل عليهم البر إدخالًا تعجز أبدانهم وقلوبهم عن حَمْلِ ما رزقهم الله من حُسْنِ معونته وفوائد كرامته ، ولكن أكثر القراء والنساك حقُّروا محقرات الذنوب ، وتهاونوا بالقليل مما هم فيه من العيوب ، فحرموا ثواب لذَّة الصادقين في العاجل »[٤]

---

(١) المصدر نفسه (١ / ٦٦)

(٢) المصدر نفسه (١ / ٦٧)

(٣) المصدر نفسه (١ / ٦٨)

(٤) المصدر السابق (١ / ١٢١)

وأخيرًا ندعو بدعاء رسول الله ﷺ « اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء »[١] .

قواعد يحكم العلماء من خلالها على الشيء بأنه بدعة

إذا عرضنا خطورة البدعة في الدين فثمّ بعض القواعد التي يحكم من خلالها على الشيء بأنه بدعة وهذه القواعد مبثوثه في كتب أهل العلم وقد جمعها بعضهم جمعًا حسنًا في كتاب بعنوان « قواعد معرفة البدع » لمحمد بن حسين الجيزاني جزاه الله خيرًا وسوف أختصرها هنا كرؤوس أقلام ، أما شرح القواعد وتطبيقاتها فمحلّه ذلك الكتاب المذكور .

القاعدة الأولى : كل عبادة تستند إلى حديث مكذوب على رسول الله ﷺ .

القاعدة الثانية : كل عبادة تستند إلى الرأي المجرد والهوى فهي بدعة . كقول بعض العلماء أو العبَّاد أو عادات بعض البلاد أو بعض الحكايات والمنامات .

القاعدة الثالثة : كل عبادة من العبادات تَرَكَ فعلَها السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم أو نقلَها أو تدوينها في كتبهم أو التعرّض لها في مجالسهم فإنها تكون بدعةً بشرط أن يكون المقتضي لفعل هذه العبادة قائمًا والمانع منه منتفيًا .

القاعدة الرابعة : كل عبادة مخالفة لقواعد الشريعة المطهّرة ومقاصدها فهي بدعة .

القاعدة الخامسة : كل تقرّب إلى الله بفعل شيء من العادات أو المعاملات من وجه لم يعتبره الشارع فهو بدعة .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥) وابن أبي عاصم (برقم ١٣) ، وقال الترمذي : « حديث حسن » . ولفظه عنده « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق ، والأعمال والأهواء » وصححه الألباني في « ظلال الجنة » برقم (١٣) من حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه .

القاعدة السادسة : كل تقرّب إلى الله بفعل ما نهى عنه سبحانه فهو بدعة .

القاعدة السابعة : كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيَّدة ، فتغيير هذه الصفة بدعة .

القاعدة الثامنة : كل عبادة مطلقة ثبتت في الشرع بدليل عام ، فإن تقييد إطلاق هذه العبادة بزمان أو مكان معين أو نحوهما بحيث يوهم هذا التغيير أنه مقصود شرعًا من غير أن يدلَّ الدليل العام على هذا التغيير فهو بدعة .

القاعدة التاسعة : كل ما كان من الاعتقادات والآراء والعلوم معارضًا لنصوص الكتاب والسنة أو مخالفًا لإجماع سلف الأمة فهو بدعة .

القاعدة العاشرة : كل ما يترتب على فعل البدع المحدثة في الدين من الإتيان ببعض الأمور التعبدية أو العادية فهو ملحق بالبدعة ؛ لأن ما انبنى على المحدث فهو محدث .

القاعدة الحادية عشرة : الغلو في العبادة بالزيادة فيها على القدر المشروع ، والتشدد والتنطع في الإتيان بها بدعة .

القاعدة الثانية عشرة : ما لم يرد في الكتاب والسُّنَّة ولم يؤثر عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين من الاعتقادات فهو بدعة .

القاعدة الثالثة عشرة : الخروج على الأوضاع الدينية الثابتة وتغيير الحدود الشرعية المقدرة بدعة .

القاعدة الرابعة عشرة : مشابهة الكافرين فيما أحدثوه مما ليس في دينهم من العبادات أو العادات أو كليهما بدعة .

القاعدة الخامسة عشرة : مشابهة الكافرين فيما كان من خصائصهم من عبادة أو عادة أو كليهما بدعة .

القاعدة السادسة عشرة : الإتيان بشيء من أعمال الجاهلية ، التي لم تشرع في الإسلام بدعة .

القاعدة السابعة عشرة : إلزام الناس بفعل شيء من العادات والمعاملات ،

وجعل ذلك كالشرع الذي لا يخالف ، والدين الذي لا يُعارض بدعة[١] .

وأخيرًا أُذكِّر القارئ الكريم بقول خير فتيان قريش في عهده عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[٢]

وبقول عبد الله بن مسعود من علماء الصحابة رضي الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[٣] .

---

(١) اقتصرت على بعض القواعد وإن كان هناك غيرها فيمكن الرجوع إليها في كتاب « قواعد معرفة البدع » الذي نقلت عنه باختصار من ص ١٧٥ - ١٧٧ لمحمد حسين الجيزاني .

(٢) رواه اللالكائي في « السّنة » (١ / ٢١ / ١) بإسناد صححه الألباني في « أحكام الجنائز » ص ٢٠١ .

(٣) رواه الدارمي ص ٦٩ .

المقصد الرابع

تقسيم حالات الدعاء عند القبور

اعلم رحمنا الله وإياك أن الدعاء عند القبور لا يخلو من أربع حالات :

١ - **الحالة الأولى** : الدعاء للميت المقبور .

ولهذه الحال صورتان :

أ - الدعاء للميت بعد الدفن مباشرة .

ب - الدعاء للميت عند زيارته .

ولا ينفي ذلك الدعاء للميت خارج المقابر كما هو معلوم لكن الكلام معنا في تقسيم الدعاء عند القبور .

٢ - **الحالة الثانية** : دعاء الزائر لنفسه عند القبر .

ولهذه الحال صورتان :

أ - دعاء الزائر ضمنًا وتبعًا لا استقلالا بمعنى أن الزائر يدعو للميت ويدعو لنفسه مع دعائه للميت .

ب - دعاء الزائر قصدًا بمعنى أن يتحرى الدعاء عند القبور ويعتقد أن الدعاء عندها أجوب من الدعاء عند غيرها من البقاع .

٣ - **الحالة الثالثة** : دعاء الميت . كالاستغاثة به ، وطلب الشفاء منه أو قضاء الحوائج ، أو طلب المال والولد .

٤ - **الحالة الرابعة** : الدعاء بالميت .

ولها ثلاث صور :

أ - أن يدعو الزائر أو غيره ويقسم على الله في دعائه بالميت المقبور كأن يقول : أقسمت عليك يا رب بالولي الفلاني إلا أجبت دعائي أو حققت رجائي أو ما أشبه ذلك كما سيأتي .

ب - بأن يدعو الزائر أو غيره : ويتوسل إلى الله في دعائه بذات المقبور ، بدون

إقسام على الله به كأن يقول : يا رب أسألك بالولي الفلاني أن تفعل لي كذا وكذا وما أشبه ذلك .

ج - أن يدعو الزائر أو غيره ، ويتوسل إلى الله في دعائه بحق أو بحرمة أو بجاه أو بمكانة المقبور كأن يقول : أسألك يا رب بجاه نبيك أو بحق الولي الفلاني أن تفعل لي كذا وكذا وهذه الحالات قد تفعل بعيدًا عن القبر أيضًا .

وإليك تفصيل هذه الحالات وصورها في الأبواب التالية :

* * * *

الباب الأول

الحال الأولى

الدعاء للميت المقبور

ولها صورتان :

الصورة الأولى : الدعاء للميت بعد الدفن مباشرة

الصورة الثانية : الدعاء للميت عند زيارته

الصورة الأولى

الدعاء للميت بعد الدفن مباشرة

ولا خلاف بين العلماء أن الميت المسلم ينتفع بدعاء الحي إذا توفر في الدعاء شروط القبول .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

بل إن الصلاة على الميت المقصد الأكبر منها الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له . وكذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ بالاستغفار للميت وسؤال التثبيت له بعد دفنه مباشرة فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال : استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل »(١) .

وذلك لأن موقف السؤال في القبر من المواقف الشديدة ويحتاج فيها المرء إلى تثبيت خاصة وأن القبر أول منازل الآخرة كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ ولم يعهد ابن آدم مثل هذه الأمور في دنياه ، ثم إن القبر بيت الوحدة والوحشة فلا أنيس له ولا جليس إلا عمله . فاستغفار المؤمنين لمن مات منهم في تلك اللحظة بعد دفنه نافع له بإذن الله تعالى .

وقد ثبت أيضا أن دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة(٢) .

إن موقف القبر وهَوْلَه شديد ووحشته عظيمة فناسب أن يدعو المسلم لأخيه

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٢١)وأحمد في الزهد (١٢٩٠) والحاكم (١ / ٣١٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٦٤) من حديث عثمان بن عفان وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال النووي في « شرح مسلم » (٥ / ٤٩٢٢) : « إسناد جيد » .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « دعاء الغائب أعظم إجابة من دعاء الحاضر لأنه أكمل إخلاصا وأبعد عن الشرك » « مجموع الفتاوى » (١ / ٣٢٨) .

ورحم الله من قال :

تالله لو عاش الفتىٰ في دهره ... ألفًا من الأعوام مالك أمره
متلذذا فيها بكل نفيسة ... متنعمًا فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة ... كلا ولا ترد الهموم بباله
ما كان هذا كله في أن يفي ... بمبيت أول ليلة في قبره

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧] [(١)] .

قال أبو الزبير : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن فتَّاني القبر فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول له : إنه رسول الله ﷺ وعبده . فيقول له الملك : انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد نجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما فيقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له : اسكن ، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري أقول كما يقول الناس فيقال له : لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلت مكانه مقعدك من النار .

---

(١) رواه البخاري (٧ / ٢٢٩) كتاب التفسير : باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ ومسلم (٢٨٧١) كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ وأبو داود (٤٧٥٠) والترمذي (٣١٢٠) والنسائي (٤ / ١٠١) وابن ماجة (٤٢٦٩) قال الترمذي : « حسن صحيح » .

قال جابر : سمعت النبي ﷺ يقول يبعث كل عبد في القبر على ما مات ، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه »[١] .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) رواه أحمد (٣ / ٢٣٣ ، ٣٤٦) وقال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٢ / ٥٥٢) « إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » .

الصورة الثانية

الدعاء عند زيارته

ويراعى عند الزيارة الآداب التالية :

* استحباب رفع اليدين عند الدعاء وأن يدعو قائمًا لأن الدعاء من قيام عند القبور أكمل من الدعاء من جلوس .

* لا بأس بإطالة الدعاء وأن ذلك مستحب وكذا تكرير الدعاء .

* الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » . وإذا دعا بهذا الدعاء يستحب له ذلك إصابة للسنة وقد وردت أدعية أخرى سنذكر بعضها فيما بعد .

وهذه الآداب السابقة يمكن أخذها كلها من هذا الحديث :

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : بلى قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أنه قد رقدت فأخذت رداءه رويدا رويدا وانتعل رويدا ، وفتح الباب فخرج حتى أجافه رويدا ، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام[1] ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (٧ / ٤٣) عند هذا الموضع من حديث : « وفيه استحباب إطالة الدعاء وتكريره ورفع اليدين وفيه أن دعاء القائم أكمل من دعاء الجالس في القبور » .

حشيا رابية[١] ؟ قلت : لا شيء قال : لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير ، قالت : قلت يا رسول الله : بأبي أنت وأمي ، فأخبرته : قال : فأنت السواد الذي رأيته أمامي ؟ قلت : نعم فلهدني في صدري لهدة أوجعتني . ثم قال : أظننت أن يحيف الله ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله نعم[٢] ، قال : فإن جبريل أتاني حين رأيت فنادى فأخفاه منك ، فأجبته ، فأخفيته منك ولم يكن ليدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي . فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم فقالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولي : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون »[٣] .

وقد ورد في دعاء دخول المقابر أيضا :

عن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول : « السلام على أهل الديار وفي رواية « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية »[٤] .

---

(١) أي : « يا عائشة » وإنما هذا يسمى ترخيمًا للاسم وهو جائز بشرط أن لا يكون فيه إيذاء للمرخم كالاستهزاء به أو احتقاره . ولهذا قال النووي (٧/ ٤٣) (وفيه ترخيم الاسم إذا لم يكن فيه إيذاء للمرخم) . **حشيا رابية** : يعني قد وقع عليك حشيا وهو الربو كأن قال لها ذلك لما رآها حفزها والله أعلم . « شرح النووي » (٧/ ٤٣) .

(٢) قال النووي (٧/ ٤٣) : « كأنها لما قالت مهما يكتم الناس يعلمه الله صدقت نفسها فقالت نعم » .

(٣) رواه مسلم (٧/ ٤٢) والنسائي (١/ ٢٨٦) (٢/ ١٦٠ ، ١٦١) وأحمد (٦/ ٢٢١) .

(٤) رواه مسلم (٧/ ٤٥) كتاب الجنائز : باب ما يقال عن الدخول والدعاء لأهلها وابن ماجه (١/ ٤٦٩) وابن أبي شيبة (٤/ ١٣٨) وأحمد (٥/ ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا وإياكم وما توعدون غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »[١] .

وكما قلنا : إن الدعاء إذا توفرت فيه شروط الإجابة نفع الميت .

* **ومن الآداب التي ينبغي مراعاتها** عند زيارة الميت المسلم : استقبال القبلة[٢] عند الدعاء للميت وإذا كان المسلم قد نهى عن الصلاة إلى القبر فكذلك الدعاء لأن الدعاء مخ الصلاة ولبها[٣] فله حكمها .

وقد اتفق العلماء على أن من سلم على النبي ﷺ عند زيارته وأراد أن يدعو فليستقبل القبلة ، وكما هو معلوم أن قبر النبي ﷺ كان خارج المسجد ولم يكن داخله فدل ذلك على من أراد أن يدعو لنفسه من الصحابة كان يسلم على النبي ﷺ ثم يتجه ناحية القبلة ويدعو فدعاؤه كان في المسجد تجاه القبلة ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ومذهب الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه يستقبل القبلة » اهـ[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (٣ / ٦٣) والنسائي (١ / ٢٨٧) والبيهقي (٤ / ٧٩) وأحمد (٦ / ؟) وليس عنده الجملة الأخيرة .

(٢) وقال الشيخ الألباني رحمه الله (وهذا أصل مستمر (أي استقبال القبلة عند الدعاء) فإنه لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يجب أن يصلي إليه اهـ الاقتضاء (٢ / ٧١٦) .

(٣) راجع : « أحكام الجنائز » للشيخ الألباني (ص ١٩٤) .

(٤) ولا تنس أخي القارئ أن قبر النبي ﷺ كان خارج مسجده على عهد الخلفاء الأربعة إلى سنة ٨٨هـ ففي عهد الوليد بن عبد الملك أمر بإدخال الحجرة النبوية داخل المسجد وقد أنكر ذلك بعض من حضر من التابعين منهم سعيد بن المسيب رحمه الله فيما روى عنه . راجع خبره في « البداية والنهاية » (٩ / ٧٥) . وعلى هذا من أراد أن يدعو كان يتجه إلى القبلة داخل المسجد .

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ : « فأما إذا قصد الرجل الدعاء لنفسه فإنه يدعو في مسجده « أي مسجد النبي » مستقبل القبلة كما ذكروا ذلك عن أصحاب النبي ﷺ ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه فعل غير ذلك عند القبر بل ولا أطال الوقوف عند القبر للدعاء للنبي ﷺ »(١) .

وسيأتي أن تحري الدعاء عند أي قبر بدعة ضلالة بما في ذلك قبور الأنبياء والصالحين ، وإذا ثبت هذا عند قبر نبينا فعند قبر غيره أولى .

بل الزيارة لقصد الدعاء عند قبر من القبور تدخل ضمن الزيارة البدعية ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ : « وأما الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج أو يطلب منه الدعاء والشفاعة ، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة عند قبر النبي ﷺ ولا عند غيره ، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك »(٢) .

* **وينبغي أن يراعي أمورًا عند الزيارة** فلا يطوف بالقبر ولا يستلمه بيده ولا يجلس عليه ، ولا يتكئ عليه ، ولا يمر فوقه ، ولا يقف أمامه كما يقف أمام الله في صلاته ولا يُقبِّل القبر ، ولا يقول هجرًا ، ولا يرتكب معاصي عنده بل يعتبر ويتعظ ويتذكر المصير المرتقب ولا بأس بالبكاء ما لم يخرج عن حد الاعتدال بلطم خد أو شق جيب أو دعاء بدعوى الجاهلية فكل ذلك لا يجوز وكل هذه المسائل لها دلائل تراجع في مظانها .

* وقد يكون الدعاء للميت خارج المقبرة كأن أكون في بيتي أو في المسجد أو في الطريق وأتذكر أخًا لي في الله قد مات أو أتذكر أي مسلم ميت فأدعو له أو أدعو له في صلاتي أو في ساعة إجابة أو بين إخواني فهذا كله لا بأس به .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١ / ٢٣٢) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١ / ٢٣٢) .

ويدل عليه ما ثبت عن نبينا ﷺ . وأغتنم الفرصة وأُذَكِّر إخواني بأن لا ينسوني من دعوة وأنا بين أطباق الثرى عسى الله أن يفرِّج بها الهمَّ ويثبِّت بها اللسان والجنان عند السؤال .

قال رسول الله ﷺ : « يرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد »[١] .

وقال : « رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر »[٢] .

وقال : « يرحم الله أم إسماعيل لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عينا معينا »[٣]

ففي هذه الأحاديث التي مرت مشروعية الدعاء للميت ولو كان الداعي بعيدًا عن قبره وهذا واضح بحمد الله .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) رواه البخاري (٦ / ٤١١) أحاديث الأنبياء : باب ١١ . ومسلم (١ / ١٣٣) الإيمان : باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة .

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠) كتاب فرض الخمس : باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٨) ، معينًا : جارية على الأرض .

الباب الثاني

الحال الثانية
دعاء الزائر لنفسه أو لغيره عند القبر

ولها صورتان :

الصورة الأولى : أن يدعو لنفسه أو لغيره ضمنًا وتبعا لا استقلالاً وقصدًا

الصورة الثانية : أن يتحرى المسلم الدعاء عند القبور يعتقد أن الدعاء عندها أجوب

الصورة الأولى

أن يدعو لنفسه أو لغيره ضمنًا وتبعا لا استقلالاً وقصدًا

وصورة ذلك أن يزور المسلم القبور ويدعو لأهلها ويدعو لنفسه أو لغيره تبعا فهذه الحالة لا بأس بها وقد مر في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول عند زيارة القبور « السلام عليكم أهل الديار . . . الحديث »[١] وفيه « نسأل الله لنا ولكم العافية » ، وكذلك لو مر في طريقه بقبور لمسلمين فسلَّم على أهلها ودعا لهم ولنفسه كما جاءت به السنة فلا بأس .

وتخصيص مكان للدعاء يحتاج إلى دليل شرعي بل أي مكان لم يأت في الشرع تخصيصه بفضيلة الدعاء عنده فلا يجوز لنا أن نخصّه بالدعاء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « والدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين : أحدهما أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها ، كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن يمر بالقبور أو كمن يزورها فيسلم عليها ، ويسأل العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به . . . » ثم قال : « فإن الرجل لو كان يدعو الله واجتاز في ممرّه بصنم أو صليب أو كنيسة أو كان يدعو في بقعة وهناك صليب هو عنه ذاهل ، أو دخل كنيسة ليبيت فيها مبيتًا جائزًا ودعا الله في الليل ، أو بات في بيت بعض أصدقائه ودعا الله لم يكن بهذا بأس »[٢] .

❈ ❈ ❈ ❈

---

(١) مرَّ تخريجه .

(٢) « اقتضاء الصراط المستقيم » (٢ / ٦٧٦) .

الصورة الثانية

أن يتحرى المسلم الدعاء عند القبور ويعتقد أن الدعاء عندها أجوب

أو يتحرى الدعاء عند أي بقعة أخرى من البقاع دون نص على أفضليتها من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فهذه الصورة بدعة ضلالة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فهذا النوع منهي عنه ، إما نهي تحريم أو تنزيه وهو إلى التحريم أقرب » اهـ[(١)] .

ولا شك أن القول بالتحريم تؤيده النصوص والقواعد الشرعية كما سيأتي فإذا تحرى المسلم الدعاء لنفسه عند القبور وقصدها لذلك فهذا لا يجوز وكذا لو استشعر أن الدعاء عندها أفضل من الدعاء عند غيرها أو أن الدعاء عندها مستجاب أو أرجى للقبول من غيرها فهذا كله ونحوه لا يجوز كما قدمنا بل هو بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار والفرق بين الصورة الأولى والصورة الثانية واضح بحمد الله .

ولذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ولو تحرى « أي المسلم » الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة ، يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة لكان هذا من العظائم ، بل لو قصد بيتًا أو حانوتًا في السوق أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة إذ ليس للدعاء عندها فضل فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب ، بل هو أشد من بعضه لأن النبي ﷺ نهى عن اتخاذها عيدًا وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع » اهـ[(٢)] .

وإليكَ الدليل والتعليل نقلًا وعقلًا على عدم جواز تحري الدعاء عند القبور سواء كانت قبور الأنبياء وغيرهم من وجوه متعددة :

---

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (٢ / ٦٧٧) .

(٢) « اقتضاء الصراط المستقيم » (٢ / ٦٧٧) .

الوجه الأول

* عن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فدعاه فقال : ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي رسول الله ﷺ ؟ قال : « لا تتخذوا قبري عيدًا ، ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيث كنت »[(١)] .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث : أن علي بن الحسين رضي الله عنه نهى الرجل عن تحرّي الدعاء عند قبره ﷺ ونحن نعلم أن قبر رسول الله ﷺ أفضل القبور على الإطلاق وكون الرجل يُنهى عن تحري الدعاء عند قبره ﷺ فعند غيره من القبور أوكد و أوكد وقد استدل علي بن الحسين رضي الله عنه بحديث « لا تتخذوا قبري عيدًا . . . الحديث » وجعل الدعاء عند القبر من صورة اتخاذ القبر عيدًا وذلك منهي عنه .

ومما هو معلوم أن أهل بيت رسول الله ﷺ العاملين بسنته العلماء بالشريعة أضبط لمثل هذه المسائل لا سيما وأن أهل بيت الرجل أضبط لأحواله من غيرهم . ولهذا قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعليقا على هذا الحديث واستدلالا به على المسألة التي نحن بصدد الكلام عنها .

قال رحمه الله : « وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه عن أبيه الحسين عن جده علي هو أعلم بمعناه عن هؤلاء الضُّلال ، وكذلك

---

(١) رواه إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » (٢٠) ، والخطيب في « الموضح » (٢ / ٣٠) وأبو يعلي (١ / ٣٦١ - ٣٦٢) وعبد الرزاق (٦٧٢٦) .

وفي سنده علي بن عمرو وهو مستور كما في « التقريب » ، لكن الحديث يقوى بحديث سهيل ابن أبي سهل رواه سعيد بن منصور بنحوه أيضًا ولهذا قواه الألباني به في « تحذير الساجد » (ص ٩٥ - ٩٦) ومن قبله السخاوي في « القول البديع » (ص ١٦١) .

ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر عند دخول المسجد ورأى ذلك من اتخاذه عيدًا » اهـ[١] .

ونقله ابن القيم في « إغاثة اللهفان »[٢] عنه لقد نشأ علي بن الحسين في المدينة وبها مات فلا شك أن مثل هذه الأمور هو أدرى بها من غيره رضي الله عنه .

ثم يقال أيضًا : إذا كان رسول الله ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد ونهى عن الصلاة عند القبور ، فإن هذا النهي يفيد تحريم قصد الصلاة عند القبور ولا يخفى أن الصلاة تشتمل على أدعية وأذكار بل إن قلوب الداعين عند القبور أعظم تعلقا وأكثر تأثرًا من قلوب المصلين عند القبور ، فإن المصلي عند القبور لا يكاد يُفتن إلا قليلا أما الداعي عندها لا سيما إذا كان مضطرًا فإنه يكون أعظم فتنة وبخاصة إذا ظن هذا الداعي أن للقبر تأثيرًا في إجابة دعوته وقضاء حاجته . وهنا تقع الفتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي نزلت به نازلة ، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء أو لدفع شر كالاستنصار حاله في افتتانه بالقبور إذا رجا الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية ، فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدًا فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهى عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء كان نهيهم عن ذلك « أي عند الدعاء عندها » أوكد و أوكد ، وهذا واضح لمن فقه في دين الله ، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين لله وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد ، ونفي الشرك بكل طريق » اهـ[٣] .

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٥٩) .

(٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢١٩) .

(٣) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٧٨) .

الوجه الثاني

أن يقال : إن تحري الدعاء عند القبور رجاء الإجابة يجر مفاسد كثيرة منها شد الرحال إلى القبور وجعلها أماكن تعظم ويطاف حولها ويلتمس المدد والعافية والرزق والنصر من المقبورين فيها . وجعل تلك الأماكن مكاناً لاجتماع الناس عندها واتخاذها عيدًا

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « إن اعتقاد استجابة الدعاء عندها وفضله قد أوجب أن تنتاب لذلك وتقصد ، وربما اجتمع عندها اجتماعات كثيرة في مواسم معينه ، وهذا بعينه هو الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله « لا تتخذوا قبرى عيدًا » وبقوله لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وبقوله ﷺ : « لا تتخذوا القبور مساجد فإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » . . .

وفي الجملة هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله « لا تتخذوا قبرى عيدًا » فإن اعتياد قصد المكان المعين وفي وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد ثم ينهى عن دقِّ ذلك وجُلِّه وهذا هو الذي تقدم عن الإمام أحمد إنكاره . . . وقد ذكرت فيما تقدم أنه يكره اعتياد عبادة في وقت إذا لم تجئ بها السنة فكيف اعتياد مكان معين في وقت معين .

ثم ذكر رحمه الله ما يفعل عند قبور الصالحين من الصحابة والتابعين والأئمة المرضيين ، ثم قال « وهؤلاء الفضلاء من الأئمة إنما يتبقى مجتمعهم واتباعهم وإحياء ما أحيوه من الدين والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان ونحو ذلك ، فأما اتخاذ قبورهم أعيادًا ، فهو مما حرّمه الله ورسوله ، واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين ، أو الاجتماع العام عندها في وقت معين ، هو اتخاذها عيدًا كما تقدم ولا أعلم بين المسلمين أهل العلم في ذلك خلافًا ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة ؛ فإن هذا من التشبه بأهل الكتابين الذين أخبرنا النبي ﷺ أنه كائن في هذه

الأمة وأصل ذلك : إنما هو اعتقاد فضل الدعاء عندها وإلا فلو لم يقم هذا الاعتقاد بالقلوب انمحى ذلك كله ، فإذا كان قصدها للدعاء يجر هذه المفاسد كان حرامًا كالصلاة عندها وأولى وكان ذلك فتنة للخلق وفتحًا لباب الشرك وإغلاقًا لباب الإيمان »[١] .

ثم إن القول بتحري الدعاء عندها يفتح باب الشركيات على مصراعيه ولا ننسى خطوات الشيطان في مثل هذه الأحوال .

* ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مبينا أن الشيطان يتدرج مع الناس في عبادة غير الله حيث يفتح لهم بابًا باباً إلى أن يصل الأمر إلى الشرك والعياذ بالله .

* يقول رَحِمَهُ اللهُ : « والمقصود أن الشيطان يلطف كيده بحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده ، وأوقات الأسحار فإذا قرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه . . . إلى أن قال : فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبرًا وثنًا يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق الستور ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له ، والطواف وتقبيله واستلامه ، والحج إليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله إلى درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ومنسكًا وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم » اهـ[٢]

قلت : لا شك أن ما ذكره العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ رأيناه في واقعنا في كثير من البلاد التي تقام فيها الاحتفالات والموالد عند القبور والأضرحة ، وكما يقولون : « إن أول السيل قطرة ، فإذا ظفر الشيطان بأول قطرة سهل عليه أن يغرق صاحبها

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ بتصرف يسير .

(٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢٤٤) .

في بحار الشرك لا سيما إذا كان جاهلًا ضالًا ، وعلى هذا فإذا كان القول باستحباب الدعاء عند القبور رجاء الإجابة عندها يجر هذه المفاسد التي مرت بك في هذا الوجه كان ذلك أدعى لمنع تحرى الدعاء عندها سدا للذريعة ، بل إن قاعدة سد الذرائع قد عُمِل بها فيما دون هذه المسألة ، ومن طالع كتب المالكية في الفقه تبين له التوسع في استخدام هذه القاعدة العظيمة ، ويمكن مراجعة كتاب إعلام الموقعين لابن قيم رحمه الله فقد بسط الكلام على هذه القاعدة .

* ومن المعلوم أن الإسلام قد سد منافذ الشرك وحسم مادته بكل طريق يؤدي إليه حتى في الألفاظ وكل ذلك حماية للتوحيد حتى يكون الدين كله لله فإذا قلنا بجواز تحري الدعاء عند القبور فضلا عن استحبابها نكون بذلك قد فتحنا باب شر على الأمة لا يمكن سدُّه أبدًا . فإن قصد الدعاء عندها قد يكون وسيلة إلى ما ذكرناه من المفاسد والشركيات فلا يمكن القول بجوازه فضلا عن استحبابه .

* ثم نقول : إن من أجرى السنة على نفسه ظاهرا وباطنا اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته التي حث على اغتنامها الشرع كوقت الأسحار ، وفي السجود ، وبين الأذان ، والإقامة ، وعند نزول المطر ، وعند إفطار الصائم ، ومن طلب معرفة أوقات الدعاء المستجاب وأماكنه فليطلبها من مظانها في كتب الأذكار والدعوات . فإن فيها خيرًا كثيرًا ومن لزم السنة أغنته عن كل قول مبتدع وكل فعل مرذول وبالله التوفيق .

الوجه الثالث

* ومن المعلوم أنه لو كان الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من الدعاء عند غيرها لكان ينبغي أن يستحب الصلاة في تلك البقاع واتخاذها مساجد فإن الصلاة مقرونة بالدعاء وقصد القبور لأجل الدعاء عندها رجاء الإجابة ليس من الشريعة لا واجبًا ولا مستحبًا فلا يكون دينًا ولا حسنًا ولا طاعة لله ولا مما يحبه الله ويرضاه ولا يكون عملا صالحا وطاعة وقربة ومن جعله من هذا الباب فهو ضال

باتفاق المسلمين[١] .

الوجه الرابع

أن تحري الدعاء عند القبور لو كان مشروعا لورد ذلك عن رسول الله ﷺ وثبت عنه ، وكذلك لو ثبت ذلك لتناقله أصحابه وقالوا به مع توافر الدواعي على نقله لو نقل بل لقد نقلوا عن رسول الله ﷺ صفة كلامه وكيف كان يتكلم وصفة ضحكه ومن المحال أن ينقلوا ذلك ويتركوا أمرا مثل هذا . ثم إن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم يأت عنهم سنة باستحباب تحري الدعاء عند أي قبر من القبور .

* قال ابن القيم : « فمن المحال أن يكون الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سُنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعا وعشرين سَنة حتى توفاه الله ، وهذه سنة الخلفاء الراشدين ، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، هل يمكن لبشر على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلا أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم ، فليوقفونا على أثر واحد وحرف واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك » اهـ[٢] .

الوجه الخامس

أن يقال : إن القول بتفضيل بقعة من البقاع على بقعة ، أو وقت من الأوقات على

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٥٢) .

(٢) « إغاثة اللهفان » (١ / ٢٢٩) .

وقت بعبادة كل ذلك يحتاج إلى دليل شرعي ، فقد علمنا مثلًا أن الصلاة إلى القبر أو عليه منهي عنه لقوله ﷺ « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »(١) .

وكذلك علمنا أن تخصيص يوم الجمعة بعبادة من سائر الأيام منهي عنه لما ثبت في الحديث وثبت لدينا أن الدعاء في وقت السحر إذا استوفى شروط الإجابة مستجاب وكذلك بين الآذان والإقامة وعند نزول المطر .

فعلمنا من ذلك أن هذه الأوقات مفضلة على غيرها لذلك يتحرى الإنسان الدعاء فيها ، وكذلك ثبت لدينا أن ليلة القدر مفضلة وكذا العشر الأوائل من ذي الحجة العمل الصالح فيها أفضل من العمل الصالح في غيرها كل ذلك من خلال ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أحاديث وأخبار .

فإذا ثبت هذا نقول : إن تحري الدعاء عند القبر لم يُعرف فيه سنة ثبتت بفضله أو أن الدعاء أرجى عنده .

* فإن القول باستحباب الدعاء أو تفضيل تحري الدعاء عند القبور قول لا دليل عليه ، وكذلك تحري الدعاء عند القبر تخصيص لعبادة بدون مخصص لها من الشرع ، بل تخصصه بالدعاء عنده ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد .

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « وأصل هذا الباب أنه ليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد بعبادة الله فيها بالصلاة والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج »(٢) .

* وقال في موضع آخر : « فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ، ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات ، وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة

---

(١) رواه مسلم (٣ / ٦٦٨) كتاب الجنائز : باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ، وأبو داود (١ / ٧١) والترمذي (٢ / ١٥٤) والنسائي (١ / ١٢٤) وأحمد (٤ / ١٣٥) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١ / ٢٩٦) ، والبيهقي (٣ / ٤٣٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٣٨ ، ١٣٧) .

أو عين ماء أو قناة جارية ، أو جبلًا ، أو مغارة ، وسواء قصدها ليصلي عندها ، أو ليدعو عندها أو ليتنسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا » اهـ[1] .

الوجه السادس

وهو من أخطر الوجوه حيث وضح فيه شيخ الإسلام ابن تيمية خطر هذه البدعة وخطر من يقول بها ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ : « إن لم يكن الدعاء عندها « أي القبور » أفضل كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها من شطوط الأنهار ومغارس الأشجار ، وحوانيت الأسواق وجوانب الطرقات وما لا يُحْصِي عَدّه إلا الله وهذا الدليل قد دل عليه كتاب الله في غير موضع[2] ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] .

* فإذا لم يشرع استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه فمن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

* وهذه العبادات عند المقابر نوع من الشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا لأن الله لم ينزل حجة تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره ومن جعل ذلك من الدين فقد قال على الله ما لم يعلم وما أحسن قوله ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ لئلا يحتج بالمقاييس والحكايات .

الوجه السابع

أن العلماء الأوائل الذين صنفوا في فضائل الأوقات والأماكن والأدعية والأذكار

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٤٤) .

(٢) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٨٢) .

في تبويباتهم للأحاديث لم يذكروا أن الدعاء عند القبور مستجاب أو أنه مستحب ومن ذكر خلاف ذلك فهو محجوج بالبينات . ثم إن من ذكر خلاف ذلك هم من المتأخرين فإن القول باستحباب الدعاء عند القبور وتحري الدعاء عندها لم ينقل عن إمام معروف ولا عالم متبع بل المنقول إما أن يكون صحيحًا إلى من قاله من المتأخرين وهو محجوج أو يكون كذبًا وما أكثر الكذب والدس على الفقهاء والعلماء .

* ثم لو كان الدعاء عند القبور أرجى من الدعاء عند غيرها لذكره العلماء الأوائل في كتبهم ومصنفاتهم وهذه كتب أئمة السلف كالدعاء للطبراني ، وفضائل الأوقات للبيهقي ، وكتب الدعوات في الكتب الستة وغيرها من كتب السنة وما فيها حرف يدل على فضيلة تحري الدعاء عند القبور ولا استحباب الدعاء عندها .

تنبيه مهم :

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها فقصد الصلاة فيها أو الدعاء عندها سنة اقتداء برسول الله ﷺ واتباعًا له ، كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات ، فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب[١] ومثل هذا ما أخرجاه في الصحيحين[٢] عن يزيد بن أبي عبيد قال كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت : يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال : رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها .

الوجه الثامن

أن تحري الدعاء عند القبور فيه نوع مضاهاة لأهل الكتاب من اليهود

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٧٤٦ ، ٧٤٧) .

(٢) رواه البخاري (١ / ٥٧٧) كتاب الصلاة . باب الصلاة إلى الأسطوانة ومسلم (١ / ٣٦٤ ، ٣٦٥) كتاب الصلاة . باب دنو المصلي من السترة من حديث سلمة بن الأكوع .

والنصارى ، وقد نهينا عن التشبيه بهم فإنهم لعنهم الله يقصدون أماكن وآثاراً ويزعمون أن لها فضائل ، ويزعمون أن الدعاء عندها مستجاب مع ما هم فيه من الشرك والمخالفة والابتداع في دين الله ، والقول على الله بلا علم وتحريف الكتب وهضم حق الأنبياء ، والغلو في بعضهم و لاشك أن هذا من أسباب الشرك وذرائع الإفك وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذاو قبور أنبيائهم مساجد »(١) وهذا ثابت عنه بالتواتر . وقد نهينا عن التشبه بهم لأن التشبه بهم مدعاة لسلوك سبيلهم نعوذ بالله من الخذلان .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما الدعاء لأجل كون المكان فيه قبر نبي أو ولي فلم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن الدعاء فيه أفضل من غيره ، ولكن هذا مما ابتدعه بعض أهل القبلة مضاهاة للنصارى وغيرهم من المشركين فأصله من دين المشركين لا من دين عباد الله الصالحين ، كاتخاذ القبور مساجد فإن هذا لم يستحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها ولكن ابتدعه بعض أهل القبلة مضاهاة لِمَن لعنهم رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى » اهـ(٢) .

* وقد صرّح شيخ الإسلام رحمه الله أن قصد الدعاء عند الآثار التي لم يأت فيها نص أنَّ الدعاء عندها بدعة منكرة .

* فقال رحمه الله : « وأما قصد الصلاة والدعاء عندما يقال أنه قدم نبي أو أثر نبي أو قبر بعض الصحابة أو بعض الشيوخ أو بعض أهل البيت أو الأبراج أو الغيران من البدع المحدثة والمنكرة في الإسلام ؛ لم يشرع ذلك رسول الله ﷺ وما كان السابقون الأولون والتابعون لهم بإحسان يفعلونه ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين بل هو من أسباب الشرك وذرائع الإفك » اهـ(٣) .

---

(١) رواه البخاري (١ / ٥٣٢) ، ومسلم (١ / ٣٧٧) ، والنسائي (١ / ١١٥) وأحمد (١ / ٢١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٣٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٤٥) .

الوجه التاسع

أن علماء الآخرة ما زالوا ينكرون مثل هذه البدع وغيرها . فقد أنكر هذه البدعة الإمام على بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والحسن بن الحسن ابن عمه ، والإمام ابن عقيل شيخ الحنابلة ، وابن الجوزي[١] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وكتبه طافحة بإنكار هذه البدعة . ومنهم العلامة ابن عبد الهادي في كتابه « الصارم المنكي » .

ومنهم أيضًا ابن القيم ويمكن مراجعة كتابه « إغاثة اللهفان » فإنه توسع في الكلام عليها وكذلك في كتابه « زاد المعاد » . ومنهم العلامة صديق حسن خان في كتابيه « الدين الخالص » و « نزل الأبرار » ، والصنعانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « تطهير الاعتقاد » .

وكذا كتب الشيخ ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب أحفاده وهي ممتلئة بإنكار مثل هذه البدع ، وكذا العلامة محمد بشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان وكذا الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ذلك في أحكام الجنائز ، والشيخ ابن باز حفظه الله في فتاوى اللجنة الدائمة ، والشيخ الأرناؤوط في تعليقه على سير أعلام النبلاء ، والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ والشيخ بكر أبو زيد في كتابه تصحيح الدعاء .

وقد رفع نص سؤال للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك : ما حكم الدعاء للميت عند قبره ، وما حكم دعاء الإنسان لنفسه عند القبر فأجاب : أما الدعاء للميت عند قبره فلا بأس به فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما تيسر مثل أن يقول : اللهم اغفر له : اللهم ارحمه ، اللهم أدخله الجنة ، اللهم أفسح له في قبره ، وما أشبه ذلك وأما دعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قصده الإنسان فهو من البدع أيضًا لأنه لا يُخصص مكان للدعاء إلا إذا ورد به النص ، وإذا لم يرد به النص ، ولم تأت به السنة فإنه أعنى تخصيص مكان للدعاء أيا كان ذلك المكان يكون تخصيصه بدعة »[٢] .

---

(١) نقله عنهم شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢ / ٧٢٠ ، ٧٢١) .

(٢) المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٩٤ ، ٩٥) .

وقد أشار إلى هذه البدعة أيضًا الدكتور على بن نفيع العلياني - حفظه الله - في رسالته القيمة « التبرك المشروع والتبرك الممنوع » والشيخ عبد العزيز السلمان في « إتحاف المسلمين » ولا شك أن تحري الدعاء عند القبور يدخل ضمن الزيارة البدعية لا الزيارة الشرعية .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « والزيارة البدعية أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت ، أو يقصد الدعاء عند قبره ، أو يقصد الدعاء به »(١) . وقال في موضع آخر : « الزيارة البدعية مثل قصد قبر الأنبياء والصالحين للصلاة عنده ، أو الدعاء عنده أو به وطلب الحوائج منه أو من الله تعالى عند قبره أو الاستغاثة به أو الإقسام على الله تعالى به ونحو ذلك هو من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا سَنَّ ذلك رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه الراشدين بل قد نهى عن ذلك أئمة المسلمين الكبار »(٢) .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى : « أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكر الآخرة والاتعاظ والاعتبار .

الثاني : الإحسان إلى الميت أن لا يطول عهده به فيهجره وينساه ، كما إذا تركت زيارة الحي مدة طويلة تنساه ، . . . ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعو لأهل القبور بالرحمة والمغفرة ، وسؤال العافية ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة والوقوف عندما شرعه رسول الله ﷺ فيُحْسِن إلى نفسه وإلى المزور(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٣٥) كذا في (٢٦ / ١٤٩) .

(٣) إغاثة اللهفان (١ / ٣٣٧) .

* فإن قال قائل : إذا كانت هذه البدع المنتشرة عند المقابر بهذه الصورة ألا يحق لي أن أترك زيارة الميت من أجل هذه البدع ؟؟ . **والجواب** : لا يحق ذلك بدعوى انتشار البدع والشركيات عند المقابر وقد نقل ابن عابدين في حاشية الدر المختار[(١)] عن ابن حجر[(٢)] في فتاويه قوله : « ولا تترك « أي الزيارة للميت المقبور » لما يحصل من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال والنساء وغير ذلك لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل وإزالتها إن أمن » اهـ[(٣)] .

* قال ابن عابدين : « ويؤيده ما مر من عدم ترك اتباع الجنائز وإن كان معها نساء نائحات » اهـ[(٤)] .

وقال صاحب الفتاوى الهندية : « إذا كان مع الجنازة نائحة أو صائحة زجرت فإن لم تنزجر فلا بأس أن يمشي معها لأن اتباع الجنازة سنة فلا يتركه لبدعة من غيره . . »[(٥)] .

الوجه العاشر

أن تحري الدعاء عند القبور تخصيص للمكان بالدعاء بدون مخصص من الشارع ، ومن المعلوم أن من علامات البدعة التزام مكان لعبادة لم ينص الشارع على التزامها في ذلك المكان بل ومن تقييد ما أطلقه الشارع من الأدلة بدون مقيد وهو من تحريف الأدلة كما لا يخفى .

ولهذا قال الإمام الشاطبي رحمه الله محذراً من تحريف الأدلة عن مواضعها قال :

---

(١) رد المختار (٢ / ٢٥٦) .

(٢) أي الهيتمي المكي لا العسقلاني .

(٣) رد المختار (٢ / ٢٥٦) .

(٤) الفتاوى الهندية (١ / ١٦٢) وهذا القول هو قول أبي حنيفة وأحد قولي الإمام أحمد رحمه الله راجع كشاف القناع (٢ / ١٥٣) للبهوتي .

(٥) الاعتصام (١ / ١٩٩) للشاطبي .

« إن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلًا فأتى به المكلف في الجملة أيضاً كذكر الله والدعاء والنوافل والمستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة ، كان الدليل من جهتين :

من جهة معناه ومن جهة عمل السلف الصالح به ، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلًا أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه »[١] .

قلت : ومن أمثلة ذلك الدعاء فإذا ندب الله المؤمنين إلى الدعاء وحثهم عليه ورغبهم فيه وقال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقال ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ فجاء بعض الناس وخصص هذا الأمر بالدعاء عند القبور مدعياً أن تلك البقعة أرجى من غيرها أو الدعاء أجوب فيها من غيرها فعند ذلك يقال له : إن هذا تخصيص بدون مخصص وهو بدعة من جهتين : من جهة أنه لا دليل عليه وكذا لم يكن هذا من فعل سلف الأمة رضي الله عنهم وما كان هذا سبيله فأحرى أن يحكم عليه بأنه بدعة ضلالة .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١ / ١٩٩) .

تنبيهات مهمة

الأول :

لقد خصصنا الكلام عن حكم تحري الدعاء عند القبور نظرًا لأن هذه المسألة مشاعة ومنتشرة في كثير من البلاد العربية فأحببنا أن ننصح لله تعالى فيها .
وهنا ننبه على أن سائر العبادات الأخرى ينسحب حكم الدعاء عند القبور فلا فرق بين عدم جواز تحري الدعاء عند القبور ، وذكر الله تعالى هناك أو الصيام أو غير ذلك وقد مر بنا بعض النقول لأهل العلم ضمن الكلام على تحري الدعاء عند القبور .

وعلى هذا نقول : لا يجوز قصد التحري عند القبور بعمل العبادات من صلاة وذكر غير ذلك حتى لقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض الحنابلة .

* قوله : « **وفي معنى هذا** « أي في معنى النهي عن الذبح عند القبر » ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصديق عند القبر بخبز أو نحوه »[١] .

* وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : « وتمام الكلام في ذلك بذكر سائر العبادات فالقول فيها جميعًا كالقول في الدعاء فليس في ذكر الله هناك أو القراءة عند القبر أو الصيام عنده أو الذبح عنده فضل على غيره من البقاع ولا قصد ذلك عند القبور مستحبًا وما علمت أحدًا من علماء المسلمين يقول إن الذكر هناك أو الصيام أو القراءة أفضل منه في غير تلك البقعة » اهـ[٢] .

الثاني

أنه لا فرق في عدم تحري أي عبادة من العبادات عند قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٧٣٤) .

(٢) نفس المصدر (٢ / ٧٣٣) .

الآخرين والصالحين من عباد الله تعالى .

إذ الحكم يشمل كل القبور فلا يجوز قصد قبر من القبور لشيء من العبادات سواء في ذلك قبور الأنبياء والصالحين وعامة الناس فلا تقصد هذه القبور ولا تخصص بعبادة من العبادات أو شعيرة من الشعائر وقد مر بك نقول أهل العلم ضمن الكلام على حكم تحري الدعاء عند القبور وأنه لا فرق بين قبور الأنبياء وغيرهم .

۞ ۞ ۞ ۞

الباب الثالث

الحال الثالثة

دعاء الميت من دون الله

وهذه الصورة في حكمها بعيدًا عن القبر كحكمها عند القبر سواء بسواء ولكن ربما كان دعاء الميت عند قبره أقبح وأقبح .

وحكم هذه الصورة أنها لا تجوز وهي من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى وصاحب هذا الشرك مخلد في النار إلا أن يتوب إلى الله وأمثلة هذه الصورة :

كأن يقول الداعي عند القبر أو بعيدًا عنه : « يا رفاعى اشفني » أو « يا حسين عافني » أو « يا ست نفيسة[1] أسألك رزقا » فإذا سأل الداعي أصحاب القبور النصر والرزق والعافية والشفاء من الأمراض والولد وقضاء الديون وتفريج الكروب واستغاث بهم من دون الله واعتقد أنهم ينفعون أو يضرون كان كل ذلك شركًا يخرج من الملة ويحبط العمل ، ولا فرق في الحكم على هذه الصورة بين من فعلها عند القبر فهو مشرك وبين فعلها عند وثن أو صنم أو صليب أو نار أو عين جارية أو غار أو شمس أو شجرة أو قبر نبي أو قمر أو دعا حيًا من الأحياء بهذا ، بل اتفق العلماء على أن من صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله كان مشركًا شركًا أكبر كمن نذر لغير الله أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أو اعتقد تعظيم مخلوق حلف به من دون الله وتفصيل ذلك كله في كتب التوحيد فيمكن مراجعتها ولكن كلامنا هنا في التركيز على شعيرة الدعاء .

---

(١) قال الحافظ الذهبي في ترجمتها في السير (١٠ / ١٠٦) « ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولا يجوز لما فيه من الشرك ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية » .

وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠ / ٢٦٢) (وقد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرًا جدًا ولا سيما عوام مصر فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك وألفاظًا ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز . . والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها . . والمغالاة في البشر حرام ومن زعم أنها (أي السيدة نفيسة) تفك من الخشب أو أنها تنفع وتضر بغير مشيئة الله فهو مشرك رحمها الله وأكرمها .

* وقد صرّح القرآن في كثير من الآيات بأن الدعاء لا يكون إلا لله تعالى وأن من دعا غير الله كان مشركًا .

* وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

* وقال الإمام أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة يقول تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرها فإنها لا تنفع ولا تضر فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فإنك إذا من الظالمين يقول من المشركين بالله »(١) .

* قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

* وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

* وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

* وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] .

وقال لنبيه : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام : ٥٦] .

وبين ربنا تبارك وتعالى عجز المعبودين من دون الله فقال عز وجل :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٥٦] .

وقال : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان : ٣] .

* وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ

---

(١) تفسير ابن جرير (١١ / ٢٣٥) .

فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : ١٩٤ - ١٩٥] .

* وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٧] .

* قال الله تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٤ - ١٥] .

* قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ : ٢٢] .

* قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

وأمر سبحانه وتعالى بدعائه وحده وعبادته وحده ، قال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] .

* وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠] .

* وقال : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

* وقال بعده : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

فهو سبحانه وتعالى بيده مقاليد السماوات والأرض وعنده خزائن الرزق ، وهو الذي يملك السمع والأبصار والموت والحياة والنشور وهو الذي يكشف الضر ويجلب النفع ويرفع البلوى وإليه الشكوى .

* وقد مرت الآيات عند فضل الدعاء فيمكن الرجوع إليها .

* فحرام على يد امتدت إليه سبحانه أن تمتد إلى غيره .

* وحرام على قلب أنس بذكره واطمئن به أن يأنس بغيره .

* وحرام على جبهة سجدت له أن تنحني وتسجد لغيره .
* وحرام على قدم سعت في مرضاته أن تسعى فيما يسخطه ويغضبه .
* وحرام على لسان وحده أن يلهج بغيره ذكره .
* وحرام على جوارح سلكت في محابه أن تنغمس في مساخطه .

وبالجملة فإن الله تعالى هو المتفضل علينا ، كم من نعمة أنعمها علينا وأعطانا إياها بمسألة وبدون مسألة فما أكثر نعم الله تعالى علينا .

* ومن العجيب أن كثيرًا من الناس يسمع هذه الآيات التي سبقت ولا يرعوى ولا يلوي على شيء ، ثم هو مُصّر على دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله والتضرع لغير الله ، وطلب المدد من غير الله وطلب النصرة والرزق من غير الله .

فما أجمل صنيع الله بنا وما أقبح صنيعنا نسأله تعالى أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا فهو المسؤول وحده .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله « فمن دعا إلى عبادة نفسه ، فقد دعا الناس إلى أن يكونوا عابدين له من دون الله ، وإن لم ينههم عن عبادة الله . . . ومن جعل بينه وبين الله واسطة في العبادة كالدعاء فقد عبد هذه الواسطة من دون الله * لأن هذه الوساطة تنافي الإخلاص له وحده ومتى انتفى الإخلاص انتفت العبادة ، ولذلك قال تعالى ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٢ ، ٣] فلم يمنع توسطهم بالأولياء إليه تعالى أن يقول إنهم اتخذوهم من دونه »(١) .

وقال أيضًا : « ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يعقلون مثل ما يفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ، فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ، وقد يسمونها توسلًا وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكن لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء

---

(١) تفسير المنار (٣ / ٣٤٧) .

إنما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء »[١] .

* وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والله عز وجل كما أنه متفرد بالخلق والإيجاد فهو المتفرد بالعبادة والإمداد وهو سبحانه لا يرضى أن يعبد معه نبي مرسل ولا ملك مقرب فمن دعا غيره فقد أشرك وحرم عليه الجنة ومأواه النار وحبط عمله وشركه غير مغفور .

* قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

* وقال : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] .

* وقال لنبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥ - ٦٦] .

* وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

* وقال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله . . . » الحديث[٢] .

* وقال : « أكبر الكبائر الإشراك بالله . . . » الحديث[٣] .

* وقال : « يخرج عنق من النار له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق

---

(١) المصدر نفسه (١ / ٤٢١) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦) كتاب الوصايا : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان : باب بيان الكبائر وأكبرها . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٤) كتاب الشهادات : باب ما قيل في شهادة الزور ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان : باب بيان الكبائر وأكبرها . من حديث أبي بكره رضي الله عنه .

يقول إني وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله آلهًا آخر وبالمصورين »[١] .

والأحاديث في التحذير من الشرك وبيان خطره كثيرة فلتراجع مظانها .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « سؤال الميت والغائب نبيًا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحدًا منهم كان يقول إذا نزلت به تره « تبعة » أو عرضت له حاجة لميت : « يا سيدي فلان أنا في حسبك » أو « اقضي حاجتى » كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، لا عند قبورهم ، ولا إذا بعدوا عنها »[٢] .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « كل من غلا في حي أو في رجل صالح . . أو يعتقد فيه الصلاح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه فلان لا أريده أو يقول إذا ذبح شاه باسم سيدي فلان اغفر لي أو أرحمني أو انصرني أو ارزقني أو اشفني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو ذلك من الأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر »[٣] .

وقال رحمه الله في موضع آخر : « فمن اعتقد في بشر أنه إله أو دعا ميتًا أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه أو سجد له فإن يستتاب وإلا ضربت عنقه »[٤] اهـ

---

(١) رواه الترمذي (٤ / ٧٠١) وأحمد (٢ / ٣٣٦) وقال الترمذي حسن غريب من حديث أبي هريرة .

(٢) الرد على البكري ص ٢٣١ .

(٣) الوصية الكبرى (ص ٣٢) .

(٤) الوصية الكبرى (٥٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ « ومن أعظم الاعتداء والعدوات والذل والهوان أن يدعى غير الله ، فإن ذلك من الشرك ، والله لا يغفر أن يشرك به ، وإن الشرك لظلم عظيم » ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠].[١] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ « ومن أنواعه « الشرك الأكبر » طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، فضلًا عمن استغاث به ، وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده »[٢] .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ « ومن أنواع العبادة الدعاء ، كما كان المؤمنون يدعون الله وحده ليلًا ونهارًا في الشدة والرخاء ، ولا يشك أحد أن هذا من أنواع العباده ، فتفكر رحمك الله فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله ، في الشدة والرخاء فهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر ، فيستغيث بعبد القادر أو شمسان أو نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة ، فيقال لهذا الجاهل : إن كنت تعرف أن الإله هو المعبود ، وتعرف أن الدعاء من العبادة ، فكيف تدعو مخلوقًا ميتًا وتترك الحي القيوم الحاضر الرؤوف الرحيم القدير ؟ »[٣] .

* ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ « إن الاستمداد بالأموات والغائبة هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، فإن الاستمداد عبادة ، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله ، وذلك أن الاستمداد نتيجته الاعتماد ، والاعتماد هو معنى التوكل الذي هو من خصائص الإلهية وأجمعها لأعمال القلوب »[٤] .

---

(١) الرد على البكري (ص ٩٥) .

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٤٦) .

(٣) الدرر السنية (٢ / ٥٤) .

(٤) الدرر السنية (٩ / ١٥٢) .

ورحم الله العبادي إذ يقول في منظومته هداية المريد :

ومن يقل غير الإله يملك نفعًا وضرًا فهو أيضًا مشرك
ومن ينادي ميتا أو غائبًا ويرتجيه راغبًا وراهبًا
لدفع ضر أو حصول نفع فذاك شرك عند أهل الشرع
كمن ينادي مستغيثا بأحد أو مستعينًا أو رجا منه الولد
إذ ذاك في العادة ليس يقدر عليه إلا الواحد المقتدر
وكل ما استحال في العادات كطلب الأحيا من الأموات
فلم يجز لمسلم أن يفعله وأنكر الشرع على من فعله
فما لكم يا معشر الجهال تدعون غير الله ذي الجلال
في جلب نفع أو لدفع ضرها ولم يطق إنقاذها من فقرها
وتستمدون من الأموات لا يمتري ألم تروا أن الدعاء عبادة تيسر
فيه ذوو الشهادة عسر وقضاء الحاجة
فمن دعا غير الإله أحدَ يمنحه الخير ويكفيه الردى
فإنه لمن دعا عابد سواء الجاهل والمعاند
وفي ثبوت النهي في الكتاب دلائل لمبتغي الصواب
يكفيك أن الله قال ادعوني كمثل ما قد قال فاعبدوني

تنبيه مهم

ولا يجوز للشخص أن يُكّفر من يقول الشركيات عند القبور أو بعيدًا عنها ابتداءً إلا إذا قامت الحجة على مرتكب القول أو الفعل المكفر فإن كثيرًا من الذين يرتكبون أمثال هذه الشركيات جهلاء وتكفير الشخص كما هو معلوم يتوقف على ثبوت شروط في حقه وانتفاء الموانع .

* لا بأس أن يقول هذا القول كفر أو هذا الفعل كفر حتى يتبين أمر الفاعل من خلال الحوار معه ومناقشته وإقامة الحجة عليه والتي لو خالفها بعد ذلك كُفِّر .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

« ومن أثبت لغير الله ما لا يكون فهو أيضا كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها »(١) .

* وقال : « ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فإنه يكون إما كافرًا وإما فاسقًا وإما عاصيًا إلا أن يكون مجتهدًا مخطئًا فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذي تقوم به الحجة فإن الله يقول في سورة الإسراء : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] أما إذا قامت عليه الحجة الثانية بالكتاب والسنة فخالفها فإنه يعاقب بحسب ذلك إما بالقتل وإما بدونه والله أعلم »(٢) .

* وإذا ثبت ما قدَّمنا فإننا نقول إن الذي يقيم الحجة على المخالف العالم بهذه الحجة ولايشترط كونه مجتهدًا .

* ثم نقول : وصفة إقامة الحجة ألا يقاومها شيء عند المخالف .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١١٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١١٣) .

راجع كلام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد تعرض للمسألة بتوسع في كتابه القيم « الفصل في الملل ولأهواء والنحل » فراجعه فإنه مهم[١] .

۞ ۞ ۞ ۞

(١) الفصل في الملل والنحل (٤ / ٥٠ – ٥١) .

الباب الرابع

الحال الرابعة
الدُّعاء بالميت

ولها ثلاثة صور :

الأولى : سؤال الله والإقسام عليه بذات الميت

الثانية : أن يسأل الزائر عند القبر ربه ويتوسل إليه بذات المقبور بدون إقسام به

الثالثة : أن يدعو الداعي ربه ويتوسل إليه بحق المقبور عند القبور

الصورة الأولى

سؤال الله والإقسام عليه بذات الميت

وهذه الصورة لا تجوز ، وهي منكر .

وسواء كانت عند القبر أو بعيداً عن القبر لكنها عند القبر أقبح .

* ومثال ذلك : أن يدعو الداعي عند القبر بمثل هذه الصيغة يقول : « أقسمت عليك يا رب بالولي الفلاني » أو « بصاحب القبر » أو « بالنبي الفلاني » أن تقضي حاجتي أو تشفي مريضي أو ترزقني أو تنصرني أو تنتقم ممن ظلمني أو ترزقني الولد أو ما شابه ذلك .

* قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : « والإقسام على الله بذات المخلوقين ليس له أصل في دين الإسلام »[١] .

وقال أيضًا : « والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من مخلوقات بل لا يُقسم بها بحال فلا يقال : أقسمت عليك يا رب بملائكتك ولا بكعبتك ولا بعبادك الصالحين كما لا يجوز أن يقسم الرجل بهذه الأشياء بل إنما يقسم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته »[٢] .

وكذلك لو سأل الله تعالى بالميت بدون إقسام على الله فهذه الصورة لا تجوز أيضًا . وسيأتي الكلام عليها .

كما لو قال : يا رب ارزقني بصاحب هذا القبر أو اشفني بالولي فلان أو أرفع شدتي بالنبي فلان فكل ذلك لا يجوز وسيأتي مزيد بسط لهذه المسألة وقد يقول قائل : فما تقولون في حديث النبي ﷺ والذي فيه « أن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره »[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٣٤٦) وغيرها من المواضع .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٣٣) .

(٣) رواه البخاري (٢ / ٢٦٩) ، ومسلم (٣ / ١٣٠٢) .

* نقول هذا الحديث على العين والرأس وليس فيه قسم بمخلوقات الله على الله وهذا الحديث من باب الحلف بالله تعالى وليس من باب الإقسام على الله بمخلوقاته .

* قال شيخ الإسلام تعليقًا على هذا الحديث : « وهذا من باب الحلف بالله لتفعلن هذا الأمر فهو إقسام على الله به وليس إقسامًا عليه بمخلوق »[١] .

* قلت : يؤيده سياق الحديث فإن فيه أن أنس بن النضر قال : أتكسر ثنية الربيع ؟ لا والذي بعثك لا تكسر سنها .

* وقال شيخ الإسلام أيضًا : « ومن سأل بها « أي بالمخلوقات » لزِمه أن يسأله بكل ذكر وأنثى ، وبكل نفس الهمها فجورها وتقواها . . ومعلوم أن السؤال لله بهذه المخلوقات أو الإقسام عليه بها من أعظم البدع المنكرة في دين الإسلام ومما يظهر قبحه للخاص والعام »[٢] .

❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٩٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٢٩٠) .



توضيح لمسألة الواسطة بين الخالق والمخلوق

وإثبات الواسطة بيننا وبين الله تعالى فيها تفصيل :

فإن كان المراد بالواسطة اتخاذ الأنبياء وسَائِط بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الحلال والحرام وتبيين ما أعد الله لعباده من النعيم المقيم وتبيين ما أعد الله للعصاه والكافرين من العذاب والجحيم فإثبات الواسطة على هذا الوجه صحيح لا غبار عليه .

وكذلك العلماء العاملون ورثة الأنبياء يعلمون الناس دين الله ويبلغونهم ما ثبت عن رسول الله ﷺ .

واتخاذ الوسائط على هذا النحو مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى .

* قال شيخ الإسلام : « ومن أنكر هذه الوسائط « يعني على هذا النحو » فهو كافر بإجماع أهل الملل »(١) .

وإذا كان المراد بالواسطة بيننا وبين الله تعالى إثبات واسطة في جلب النفع ودفع الضر مثل اتخاذ واسطة بين الله تعالى وبين عباده في رزقهم ونصرهم وهدايتهم هداية معونة فهذه الواسطة على هذا النحو شرك أكبر .

* قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين »(٢) .

* وقال شيخ الإسلام رحمه الله في معرض الرد على من استفتاه في مسألة الواسطة :

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٢ ، ١٢٣) وغيرها من المواضع . ونقله في غاية الأماني (٢/ ٢١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٣) .

« وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبًا منهم يباشرون سؤال الملك ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم منَ طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب .

فمن أثبتهم وسائط على هذه الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهؤلاء مشبهون لله شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا الله أندادًا . . . »[1] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٢٦) .

الصورة الثانية

أن يسأل الزائر عند القبر ربه ويتوسل إليه بذات المقبور بدون إقسام به على الله

وهذه الصورة محرمة لا تجوز وكذلك لا تجوز هذه الصورة بعيدا عن القبور . وقد تكلم عليها كثير من العلماء(١) .

وصورة ذلك أن يقول الداعي : « اللهم إني أسألك بفلان الولي أن تقضي لي حاجتي » . وهذه الصورة محظورة(٢) .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « قد علم بالاضطرار والتواتر من دين الإسلام وبإجماع سلف الأمة وأئمتها . . . أنه لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء الصالحين يستشفعوا بهم لا بعد مماتهم ولا في مغيبهم ، فلا يقول أحد : يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله وسلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا ، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين : يا نبي الله ، يا رسول الله ، ادع الله لي ، سل الله لي ، استغفر الله لى ، سل الله أن يغفر لى أو يهدينى أو ينصرنى أو يعافينى ، ولايقول : أشكو إليك ذنوبى أو نقص رزقى أوتسلط العدو على ، أو أشكو إليك فلانًا . . ظلمنى ، ولا يقول : أنا نزيلك أنا ضيفك ، أنا جارك ، أو : أنت تجير من يستجيرك ، أو أنت خير معاذ يستعاذ به ، ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور ، ولا يكتب أحد محضرًا أنه استجار بفلان ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر ، وهو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين ، كما

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل (ص ١٨٧ ، ١٨٦) .

(٢) ولا نكثر الكلام عليها فإن من رام تفصيل الكلام عليها فليرجع إلى القاعدة الجليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيرها من الكتب ولا تحتمل هذه الورقات لبسط تلك المسألة فإنها كثيرة التشعب .

يفعله النصارى في كنائسهم ، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم ، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع ذلك لأمته وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئًا من ذلك بل أهل الكتاب ليس عندهم عن الأنبياء نقل بذلك كما أن المسلمين ليس عندهم عن نبيهم نقل بذلك ، ولا فعل هذا أحد من أصحاب نبيهم والتابعين لهم بإحسان ولا استحب ذلك من الأئمة في مناسك الحج ولا غيرها ، أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره : يشفع له ويدعو لأمته أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب في الدنيا والدين »(١) اهـ .

* وقال الشيخ محمد نسيب الرفاعي : « إن التوسل بذات وشخص المتوسل به إلى الله تعالى عمل غير شرعي لأنه لم يأمر به الله ولا بلغه رسوله على أن التوسل بذات الشخص بدون متابعة للعمل الذي كان يعمله ، فبلغ به منزلته الطيبة عند الله ، إنما هو عمل قد ذمه الله تعالى لما وصف توسل المشركين فقال حاكيًا عنهم ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر : ٣] . فالتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة فهذا التزلف بذوات الأشخاص ردَّه الله سبحانه وتعالى ولم يقبله ، وأنه تعالى قد عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه وعاب عليهم محاولتهم القربى والزلفى إليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين فكلا الأمرين في الآية عيب وذنب وكلاهما باطل وكذب وضلال »(٢) اهـ .

۞ ۞ ۞ ۞

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) التوصل إلى حقيقة التوسل (١٨٦ ، ١٨٧) .

الصورة الثالثة

أن يدعو الداعي ربه ويتوسل إليه بحق المقبور عند القبور

فهذه لا تجوز للحي من الحي ولا من الحي للميت ، وهذه الصورة لا تجوز عند القبر ولا بعيدًا عنه فليس للعباد على الله حق أوجبوه عليه سبحانه بل له ما أوجبه على نفسه أو حرمه على نفسه .

ورحم الله من قال :

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

* وصورة هذا السؤال والتوسل أن يقول الداعي : أسألك يا رب بحق نبيك أو بحق المقبور فلان أو بحرمة الحسين أو بمكانة السيدة نفيسه . . اقضي حاجتي ، وارفع شدتي ، وما أشبه ذلك فهذه الصورة بدعة منكرة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولم يصح حديث في التوسل إلى الله تعالى بحق المخلوقين ، وليس في القرآن هذا النوع من التوسل ولا في صحيح السنة مطلقا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وأما قول السائل : بحرمة فلان الميت أن تقضي حاجتي ، أو تغفر لي ، فهذا ليس بمشروع ، فإن هذا لم يفعله أحد من السلف ولا استحبه أحد من الأئمة ، ولا فيه أثر عمن مضى ، والعبادات مبناها على الاستنان والاتباع لا على الهوى والابتداع ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة » ولو كان هذا مشروعا أو في حق أحد لكان أحق الناس بذلك رسول الله ﷺ فإنه أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ، وأقربهم إليه وسيلة حيًا وميتًا » [١] اهـ .

---

(١) جامع المسائل (٥ / ١٥٠) لابن تيمية بتحقيق محمد عزيز شمس .

وكذا التوسل بجاه المخلوقين بدعة وضلالة ولو كان التوسل بجاه رسول الله ﷺ على القول الراجح من أقوال أهل العلم .

ويحرم التوسل بجاه النبي ﷺ فلا يقول الإنسان : اللهم إني أسألك بجاه نبيك ، كذا وكذا وجاه النبي عند الله عظيم ، كما نعلم ولكن هذا لا يدعونا أن نسأل الله بجاهه ، وقد نص على تحريم هذا النوع من التوسل كثير من أهل العلم في مقدمتهم الإمام أبي حنيفة[١] . رحمه الله كما نقل عنه القدُوري رحمه الله وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم . ومن المتأخرين الشيخ الألباني حفظه الله والشيخ ابن عثمين وغيرهم .

وللشيخ الألباني مؤلف خاص يشرح فيه أنواع التوسل وللشيخ ابن عثيمين أكثر من فتوى في ذلك الموضع راجعها في المجموع الثمين[٢] ولعل أوجز عبارة عن هذا الموضوع عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : « ومن يأتي قبر نبي أو صالح أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجد به فهذا على ثلاث درجات :

١ - أن يسأل حاجته ويطلب منه الفعل فهذا شرك صريح .

٢ - أن يطلب منه أن يدعو الله له فهذا شرك أيضًا .

٣ - أن يقول اللهم بجاه فلان عندك أو بركة فلان أو حرمة فلان عندك افعل بي كذا . وهذا من البدع[٣] .



وإذا ثبت أن التوسل بجاه المخلوقين أو حرمتهم أو حقهم ومكانتهم بدعة فإننا

---

(١) كما في الفتاوى الهندية (٥ / ٢٨٠) .

(٢) ص (٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٨٢) ، (٢٧ / ٧٣ ، ٧٦) ، (٢٧ / ١٣١ ، ١٣٤) .

نقول : إن هذه المسألة لا تعد من المسائل التي يكفر من قال بها[١] . ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ولم يقل أحد أن من قال بالقول الأول. أي التوسل بجاه رسول الله ﷺ. فقد كفر ولا وجه لتفكيره فإن هذه المسألة خفية ليست أدلتها جلية ظاهرة والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها »[٢] .

* قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في حكم من يُكفر بمثل هذه المسائل : « بل المُكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزيز بما يستحقه وأمثاله »[٣] .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) ولا يظن ظان أننا نهون من شأن هذه البدعة كلا وألف كلا فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار بل نقول هذه المسألة بعض الناس قد يكفر بها وهو غلط والحق لابد من إيضاحه وإن سخط من سخط ورضي من رضي وبالله التوفيق .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٠٦) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٠٦) .

الباب الخامس

الردُّ على أدلة القائلين باستحباب تحرى الدعاء عند القبور

والآن بعد أنِ فرغنا من ذكر هذه الأوجه السابقة نناقش أدلة المتأخرين في القول باستحباب الدعاء عند القبور وتحري الدعاء عندها .

فأقول وبالله التوفيق :

إن الأدلة التي استدلوا بها نبدأ بعرضها أولًا ثم نناقشها .

وما استدل به القائلون بالاستحباب المشار إليه ليس في الحقيقة أدلة يعتمد عليها وإن كان الأجدر أن نسميها شبهات وهو الأوجه ، ولكن تنزلًا نسميها كما سموها .

الدليل الأول

قال المستحبون للدعاء عند القبور : لقد جربنا الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين فوجدنا أن الدعاء عندها مستجاب .

ولا يختلف أحد في أن هذه البقاع التي دفن فيها الأنبياء والصالحون تغمرها الرحمة والبركة ، ونزول الرحمة والبركة قد يحيط بالداعي في تلك البقاع فتشمله رحمة الله تعالى .

ومن رحمة الله تعالى به أن يستجيب دعاءه لوجوده في تلك البقعة المباركة وعلى هذا يكون متحرى الدعاء عندها مثله مثل حال الجالس في مجالس الذكر وقد جاء لحاجته فدخل في الذاكرين ويكون معهم فهم القوم لا يشقى جليسهم .

وقالوا : قد سمعنا ورأينا كثيرًا من كرامات الصالحين[١] عند قبورهم وفي حياتهم قبل موتهم فرأينا نزول العذاب بمن استهان بهذه القبور واندفاع النار عنها وعمن جاورها ونزول أنوار عندها وخروج أنوار منها وحصول الأنس والسكينة عندها أفلا يكفي كل هذا دليلًا على استحباب الدعاء عندها ؟

والإجابة على هذا الدليل من وجوه :

---

(١) ومن الغلو في القبور ما جاء في بعض الكتب التي تدرس في العقيدة في بعض المدارس وهو كتاب « شرح جوهرة التوحيد للبيحورى » حيث يقول ص (١٥٣) : « ولذا قيل : من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق .

وقال الشعراني : ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكًا يقضى الحوائج .

وتارة بخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه » .

قلت : ومثل هذا الكلام الخرافي يكون سببًا في إضلال الناس وتحرّيهم الدعاء عند القبور .

الوجه الأول : إنه لا يمكن إثبات حكم شرعي مستحبًا كان أو واجبًا أو مكروهًا أو مباحًا عن طريق التجربة

فإن التجربة ليست مصدرًا من مصادر التشريع حتى نعتمد عليها ونحن نحاكم أصحاب هذا القول إلى الكتاب والسنة فهل ثبت القول بالتجريب في مسائل الدين ؟

وهل قال به أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فلا يمكن أن يثبتوا صحة هذا عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أما الخلف فربما وجدوا عندهم من يقول بمثل هذا التجريب والعاقل المنصف يرجع عند التنازع في مسائل الدين إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

* وما أجود قول العلامة صديق حسن خان وهو يبطل القول بالتجريب في هذه المسألة بل وفي مسائل الدين عامة ، فيقول :

« القول الصواب في هذا الباب عدم اعتياد الدعاء عند القبور لعدم ورود الدليل بها في الكتاب والسنة وما لنا والتجريب في مسائل الدين بل هو لعمارة الإسلام تخريب في نظر المسلم اللبيب »(١) .

* وقال في موضع آخر : « ولا ننكر التجربة ولكن الشحيح بدينه الحريص على القدوة ليس له إلا الأسوة برسول الله ﷺ في كل شيء من الأشياء وما لم يؤثر عنه ﷺ فليس لنا سبيل إليه » اهـ(٢) .

* وقوله رحمه الله : « **ولا ننكر التجربة** » أي : في المسائل التي لا تتعلق بالدين كما هو مفهوم من قوله الأول فإن القائل بالتجربة في غير مسائل الدين لا بأس به فثبت بهذا الوجه أن لا مدخل للتجريب في مسائل الدين كما أنه لا مدخل للقياسات العقلية في الأمور السمعية .

---

(١) نزل الأبرار (٤١) .

(٢) نزل الأبرار (٤١) .

الوجه الثاني : قولهم : « لا يختلف أحد في أن هذه البقاع التي دفن فيه الأنبياء والصالحين تغمرها الرحمة والبركة » .

* نقول : ونحن لا ننكر نزول رحمة الله تعالى على الصالحين من عباده أحياء وأمواتًا ولكن أي ارتباط بين نزول الرحمة في المكان واستجابة الدعاء عنده ؟ هل ثبت بهذا دليل من كتاب أو سنة ؟ .

* قال الشيخ مرعي الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ : « تنبيه : إنما غر هؤلاء الداعين عند المقابر مشاهدتهم بعض الأحيان استجابة الدعاء ، وقضاء حوائجهم في بعض الأوقات ، ومنها نشأ وجه الضلالات والشبهات لقاصري العقول ، وجاهلي المنقول ، وحجتهم في ذلك دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به ، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله ، إنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس منْ هو من المبطلين ، فإن كثيرًا من المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم ، فيستجاب لهم أحيانًا ، . . . وقد يكون سبب قضاء حاجة هؤلاء الداعين أن الرجل منهم قد يكون مضطرًا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لأستجيب له لصدق التوجه وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركًا .

* قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء : ٦٧] .

* وقال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ * فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [يونس: ٢٢ ، ٢٣] .

وكم داع دعا بدعاء هو فيه معتد ، إما بطلب ما لا يصح أو بدعاء فيه معصية ، فإذا

حصل له بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح فهو بمنزلة من خالف أمره تعالى وأمده الله بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات .

قال الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦] .

* وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] .

والإملاء : إطالة العمر وما فيه من رزق ونصر »(١) اهـ .

ونحن لا ننكر أيضًا أن الأنبياء وغيرهم من الصالحين من عباد الله لا نطعن فيهم .

ولا يعني الاعتراف بفضلهم تحرى الدعاء عند قبورهم ولا يلزم من نزول الرحمة عليهم استجابة الدعاء عند قبورهم .

كما أننا لا ننكر ما لقبورهم من الاحترام الذي دلت عليه سنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام فهذه القبور لها خصائص شرعية دلت عليه السنة .

* قال شيخ الإسلام رحمه الله : « فإن قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة إذ هو بيت المسلم الميت فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق ولا يوطأ ولا يداس ، ولا يتكأ عليه عندنا وعند جمهور العلماء ولا يجاور(٢) بما يؤذي الأموات

---

(١) « شفاء الصدور » ص (٢٠٤ ـ ٢٠٦) بتصرف .

(٢) رحم الله شيخ الإسلام فكيف لو رأى ما في زماننا من العجائب المخالفة لشرع الله فقد رأيت في بلدتنا التي نسكنها أن مقابر المسلمين يجاورها من جهة السوق مع ما فيه من صخب وأيمانات تمحق البركة وشرب الدخان ويجاور المقابر أيضًا بل تلاصقها من جهة أخرى مقابر النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وقد نبه الشيخ العلامة ابن تيمية في الاختيارات ص ٩٤ على أنه ينبغي أن تكون القبور بين المسلمين والمشركين متباعدة كما كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ومن قبله العلامة ابن حزم حيث يقول : « وعمل أهل الإسلام من عهد الرسول ألا يدفن مسلم مع مشرك ، فصح تفريق قبور المسلمين عن قبور المشركين » « المحلى » (٥/ ١٤٢) .

من الأقوال والأفعال الخبيثة ويستحب عند إتيانه السلام على صاحبه والدعاء له وكلما كان الميت أفضل كان حقه أوكد »[١] اهـ .

أقول : ومع هذه الخصائص التي ذكرها شيخ الإسلام والتي لها أدلة مفصلة في كتب السنة إلا أن هذه الخصائص لا تقتضي استحباب الدعاء عند القبور كما هو معلوم .

* وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وما في قبور هؤلاء الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق . . . وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة أو قصد الدعاء أو النسك عندها لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع »[٢] .

* ثم نقول : إن نزول الرحمة على هذه الأماكن يقابله مفاسد تنشأ من الاجتماع عند هذه الأماكن بما يحدث من الشرك والاختلاط بين الرجال والنساء وغيرها مما تستوجب سخط الله .

فإذا كان نزول الرحمة من المصالح للميت ، فإن تحري الدعاء عند قبره موجب لسخط الله تعالى فإنه شرع لم يأذن الله به فتنبه ولا تكن من الغافلين .

والعاقل من ينظر إلى مقاصد الشريعة ويعطى كل أمر حظه من النظر والإمعان حتى لا يَضل ولا يُضل فإن النظر في مسائل الدين والتأمل فيها على بصيرة من توفيق الله تعالى .

الوجه الثالث : قولهم : « ومن رحمة الله تعالى بالداعي استجابة دعائه له لوجوده في تلك البقعة المباركة التي تغمرها الرحمة » .

* أقول : لو قالواة : « ومن استدراج الله تعالى للداعي استجابته لدعائه في هذا المكان الذي قصد الدعاء فيه لكان أفضل وأجدر » ثم نقول : من أين علمتم أن استجابة الدعاء عند القبر كانت بتأثير المكان ولم لا يكون سبب إجابة دعائه عند

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٧٢٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ ، ١٧٧) .

القبر أن الداعي يكون مضطرًا واجتهد في دعائه في هذا المكان اجتهادًا لو اجتهد في مكان آخر لأجيب .

* وقد رأيت لشيخ الإسلام كلاما في ذلك قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مناقشته للقائلين باستحباب الدعاء عند القبور : « ثم تلك الحاجة « أي حاجة الداعي عند القبر » إما أن تكون قد قضيت بغير دعائه وإما أن تكون قضيت بدعائه فإن كان الأول فلا كلام وإن كان الثاني فيكون قد اجتهد في الدعاء اجتهادًا لو اجتهد في غير تلك البقعة أو عند الصليب لقضيت حاجته فالسبب هو اجتهاده في الدعاء لا خصوص القبر »[١] .

فإن الله تعالى يجيب دعاء المضطر ولو كان كافرًا قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

والله تعالى يقول : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] .

*** ثم نقول : استجابة الدعاء في هذا المكان ليست دليلا على مشروعية الدعاء عند ذلك المكان فليس كل من قضيت حاجته بسبب دعائه عند القبور يستفاد منه استحباب الدعاء عند القبور .**

فإن الوسائل لها حكم المقاصد فالعبد إذا سأل الله تعالى وتحرى الدعاء عند القبر ، واعتبر ذلك وسيلة إلى إجابة دعوته ثم استجيب له وقضيت حاجته لم يكن ذلك دليلا على صحة هذا الفعل فالوسيلة التي اتخذها ليست وسيلة شرعية وإنما هي وسيلة بدعية ، وكم من إنسان اتخذ وسائل غير مشروعة قضيت بها حاجته ولا يمكن القول بأن بلوغ الإنسان مقصده وحاجته بسبب

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٧٧) .

هذه الوسيلة الخاطئة دليل على صحة فعله .

* وخذ مثالًا من الواقع : الذين يذهبون إلى العرافين والكهان ليخبروهم بالسروق وما أشبه ذلك من غيب المستقبل ، وكذلك الذين يستعينون بالجن ليخبرهم بشيء من الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، وربما تقضى حاجتهم ابتلاءً واختبارًا لهم . فهل يقول قائل إن هذه الوسيلة التي اتخذها هؤلاء مشروعة ؟ اللهم لا قائل بهذا إلا من زاغ الهدى عن قلبه .

ومع أن كثيرًا من الكهان قد يخبرون الناس بأمور وقد تقضي حاجتهم بذلك لكن لا يدل هذا على مشروعية هذا العمل بل قد ثبت النهي في السنة عن إتيان الكهان والسحرة والمنجمين والعَّرافين .

ولماذا لا يقال : إن استجابة دعاء الداعي عند القبور فتنة وابتلاء واختيار له واستدراجٌ من الله تعالى ، ومكرٌ به ؟! ونعوذ بالله أن يمكر الله بنا فليتنبه المسلم لذلك وبالله التوفيق .

* قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : « ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته مشروعًا ولا مباحًا وإنما يكون مشروعًا إذا غلبت مصلحته على مفسدته إما إذا غلبت مفسدته فإنه لا يكون مشروعًا بل محظورًا وإن حصل به بعض الفائدة »[١] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٧٧) .

الدليل الثاني

قال المستحبون للدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين :

ونحن ننقل لكم أيها المانعون من أقوال أهل العلم ما يؤيد قولنا باستحباب الدعاء عند القبور .

* فقد نقل عن الشافعي قوله « قبر موسى الكاظم ترياق مجرب لإجابة الدعاء[١] .

ونقل شيخ الإسلام عن بعضهم أنه قال : « جُرب استجابة الدعاء عند قبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي المقدسي »[٢] .

* ونقل الحافظ ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة[٣] .

وكذا الحافظ الذهبي[٤] عن الإمام إبراهيم الحربى رحمه الله أنه قال : « قبر معروف الكرخي الترياق المجرب » .

وقد أكثر الأدفوي في تراجم علماء الصعيد من الدعوة إلى زيارة قبور المترجم لهم بدعوى أن الدعاء مستجاب عند قبورهم .

* ففي ترجمة إبراهيم بن على الأندلسي ثم القنائي قال فيه الأدفوي وفي زوجته « يقال إنه جرب من وقف بين قبريهما ودعا وسأل حاجة فقضى »[٥] .

---

(١) الدين الخالص (٤ ، ٤٧) للسيد محمد صديق خان .

(٢) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٨٤) .

(٣) طبقات الحنابلة (١ / ٣٨٢) ورواه السلمي في طبقات الصوفية (٨٥) عن إبراهيم بن الجزري هكذا لا الحربي ومن طريقه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١ / ١٢٢) وابن الجوزي في مناقب معروف ص ٢٠١ ، وذكره القشيري في الرسالة ودون تحديد قائله أو إسناده .

(٤) السير (٩ / ٣٤٣) .

(٥) الطالع السعيد في تراجم علماء الصعيد ص ٦٠ .

* وقال في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد القنائي نقلًا عن بعض المشايخ « وأهل بلادي متفقون على تجربة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء يمشي الإنسان حافيًا مكشوف الرأس وقت الظهر ويدعو بالدعاء الذي سنذكره ويدَّعون أنه ما حصلت لإنسان ضائقة وقت ذلك إلا وفرج الله عنه »[١] .

* وقال في ترجمة علي بن حميد الصباغ « زرته مرات كثيرة ودعوت عنده بدعوات وطلبت حاجات فقضيت والحمد لله على نعمه »[٢] .

* وقال في ترجمة أبى بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي « كان من العلماء الصالحين ممن يعتقد بركته ويزار قبره ، ويقال إن الدعاء عنده مستجاب »[٣] .

* وقال في ترجمة مفرج بن موفق الدماميني « قبره يزار زرته مرات ودعوت عنده ورجوت بركته »[٤] .

* وقال في ترجمة يوسف بن عبد الرحيم الأقصرى « له قبر مشهور بالأقصر يزار ، وإن بعد على الزائر المزار ، ويرجى أن تحط عنده الأوزار زرته غير مرة وعدت إليه كرة بعد كرة ، نفع الله به »[٥] .

* ونقل الحافظ الذهبي في ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب أنه قال[٦] عنها : « كانت من الصالحات العوابد والدعاء مستجاب عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصالحين »[٧] اهـ .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ص ٧٢٤ .

(٦) يعني الذهبي رحمه الله .

(٧) السير (١٠ / ١٠٧) .

* وقال ابن الجزري في عدة الحصن الحصين وشرحه الشوكاني في تحفة الذاكرين « أن من أماكن استجابة الدعاء وذكرها وقال . . وجرب استجابة الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين بشروط معروفة » وأقرها الشوكاني في الشرح[١] .

* كما ننقل لكم أيها المانعون ما يؤيد صحة قولنا من عمل الأئمة الأعلام كالشافعي رحمه الله تعالى فإنه كان يقول : « إني إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب »[٢] .

* **واحتج القائلون بتحري الدعاء عند القبور** : بفعل أهل القسطنطينية عند قبر أبي أيوب الأنصاري حيث إنهم كانوا إذا حبس عنهم المطر ذهبوا عند قبره يستسقون فيسقون[٣] .

واحتجوا أيضًا : في ذكر ترجمة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي « وهو مختلف في صحبته » وأنه دفن في بلاد الترك فكان أهل الترك يستسقون عنده أو به[٤] .

* واحتج بعضهم بقول أمير المؤمنين زورا أمواتكم فإنهم يفرحون بزيارتكم وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمه[٥] .

* وقد روى عن معروف الكرخي أنه أوصى ابن أخيه أن يدعو عند قبره[٦] .

قالوا : وقد ذكر بعض من صنف في مناسك الحج أن الحاج إذا زار قبر رسول الله ﷺ فإنه يدعو عنده[٧] .

---

(١) تحفة الذاكرين (٧٠) .

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١ / ١٢٣) ونقل معناه شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢ / ٦٨٥) .

(٣) راجع اقتضاء الصراط (٢ / ٦٨٧) وسيأتي الكلام عن تخريج الأثر في مورد الرد على الاحتجاج به .

(٤) الإصابة (٤ / ٣٠٤) ، البداية والنهاية (٧ / ١٢٤ ، ١٦٠) .

(٥) كشف الشبهات عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات ص ٣١٢ لمحمود حسن ربيع .

(٦) الاقتضاء (٢ / ٦٨٣) ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٣٦٤) .

(٧) نقله في الاقتضاء (٢ / ٦٨٤) .

وذكر بعضهم أنه من صلى على النبي ﷺ سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له وقضيت حاجته كما ذكره القاضي عياض في كتابه « الشفا » عن ابن أبي[(١)] فديك ولفظه : « سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، فقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط حاجته » .

* وقال : روى الزبير بن بكار في كتابه « أخبار المدينة » عن محمد بن الحسين بن زبالة عن عبد العزيز بن محمد الداروردي قال رأيت رجلًا من أهل المدينة يقال له : محمد بن كيسان ، يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة ونحن جلوس مع ربيعة بن أبي عبد الرحمن فيقوم عند القبر فيسلم على النبي ﷺ ويدعو حتى يمسي فيقول جلساء ربيعه ما يصنع هذا ؟ فيقول : دعوة فإنما للمرء ما نوى »[(٢)] .

* قالوا : ووجه الاستدلال من القصة أن ربيعة رحمه الله ما أنكر على الرجل صنيعه .

* قالوا : وبالجملة فقد نُقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم فاستجيب لهم الدعاء وعلى هذا عمل كثير من الناس .

* وقالوا : وقد جعل الشوكاني رحمه الله حال الداعي عند قبور الأنبياء والصالحين كحال من جاء إلى مجلس الذكر وليس من أهله بل جاء لحاجته فشملته الرحمة كما في الحديث هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

فنقول : إن ما ذكرتموه لا يخرج عن :

١ - نَقل لا يجوز إثبات حكم شرعي بمثله فإن الأحكام الشرعية تثبت بقول الله

---

(١) الشفا (٢ / ٨٤) .

(٢) نقله في الاقتضاء (٢ / ٧٢٤) .

ورسوله أو سبيل السابقين الأولين ولا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصًا أو استنباطًا .

٢ – نقل هو كذب عن المنقول إليه أو سنده لا يصح عنه .

٣ – نقل يكون قائله أو فاعله قاله أو فعله باجتهاد يخطىء ويصيب أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فَحُرِّف النقل عنه .

٤ – قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله . وهذا جواب إجمالي .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ومعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي ﷺ وسكنوا الشام والعراق ومصر وغير هذه الأمصار وهم أعلم بالدين وأتبع له ممن بعدهم فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه .

فما كان من هذه البقاع لم يعظمونه أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء أو نحو ذلك لم يكن لنا أن يخالفهم في ذلك .

وإن كان بعضهم من جاء بعدهم من أهل الفضل والدين فعل ذلك لأن اتباع سبيلهم أولى من اتباع سبيل من خالف سبيلهم وما من أحد نُقل عنه يخالف سبيلهم إلا وقد نقل عن غيره ممن هو أعلم وأفضل منه أنه خالف سبيل هذا المخالف وهذه جملة نافعة »(١) .

ثم نقول عن الجواب التفصيلي :

* **أما تجريب استجابة الدعاء عند قبر من قبور الصالحين** فقد سبق الرد عليه في الدليل الأول الذي استدلوا به .

* **أما احتجاجهم بقول الإمام الشافعي** في قبر موسى الكاظم فهذا القول لم يصح عن الإمام الشافعي !

وقد كفانا مؤنه الرد على هذا الاحتجاج السيد محمد صديق حسن خان رحمه الله

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٨١٤) .

حيث قال « وما نسبوه إلى الشافعي سنده منقطع لا يصح ، ولو صح لا يكون فيه دليل أبدا ، لأن قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ليس من أدلة الشرع في صدر ولا ورد ، وكذا قول غيره من الأئمة المجتهدين إذا لم يكن معتمدًا على برهان من السنة أو من القرآن ، فما ظنك بآحاد العلماء من المقلدين ، فإنهم بمعزل عن أن يسمع منهم حرف أو يلتفت إليهم ، أو يصح الخطاب معهم ، أو يبالى بهم في أحكام الملة الإسلامية ، ومسائل الأمة المحمدية »[1] اهـ .

قلت : وما قيل في احتجاجهم بقول الشافعي يقال مثله في احتجاجهم بقول القائل في قبر أبي الفرج الشيرازي .

*** وأما احتجاجهم : بقول على بن أبي طالب زوروا موتاكم .. وليطلب أحدكم حاجة عند قبر أبيه وعند قبر أمه »**

فلا حجة فيه : لأنه لا يعرف له إسناد بل نقله صاحب كتاب كشف الشبهات عن إهداء القراءة وسائر القرب للاموات » نقله عن مذهب الروافض الإمامية بواسطة شيخهم محمد تقي القمي صاحب دار التقريب بين المذاهب والعجب من صاحب كشف الشبهات الذي حشد في كتابه السابق ماهبَّ ودبَّ حتى نقل عن الروافض والزيدية واعتمد على أقوالهم نسأل الله العافية والكتاب فيه من المخالفات والمغالطات ما الله به عليم .

*** وأما احتجاجهم : بقول إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ !**

فنقول : إما أن النقل لا يصح عنه في ذلك أو هو صحيح فإن كان لا يصح وهذا ما نميل إليه فقد كُفِينا الكلام ، وإن كان النقل صحيحًا عنه فينبغي أن نعرض هذا القول على الكتاب والسنة وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الروضة الشريفة ﷺ ولا يغضّ ذلك من شأن العالم وعلمه والقول الذي قاله الإمام إبراهيم الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأداه إليه اجتهاده قول مخالف لما سبق بيانه من الأدلة التي سقناها

---

(١) الدين الخالص (٤ / ٤٧) .

والحق أحق أن يتبع ويغفر للعالم خطأه إذا أداه إليه اجتهاده فهو مأجور على اجتهاده وإن كان مخطئًا لكن لا يُتبع على خطئه .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « هذه الأقوال التي تنسب إلى العلماء إذا صحت عنهم ومنها « أي من الأقوال » ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطئ ويصيب »(١) اهـ .

* وقال عمَّن قال قولًا خطأً تبين خطؤه فهل يكون مُشرِّعًا من دون الله قال : « قد يكون متأولا في الشرع فيُغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهدًا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطىء ، ويثاب أيضًا على اجتهاده ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولًا أو عملًا قد علم الصواب في خلافه وإن كان القائل أوالفاعل مأجورًا أو معذورًا »(٢) .

* وقال في موضع آخر كلامًا بمثابة قاعدة عامة مهمة جدًا قال رَحِمَهُ اللَّهُ : « وجماع هذا أن هذه الأمور تعطي حقها من الكتاب والسنة فما جاء به الكتاب والسنة من الخير والأمر والنهي وجب اتباعه ، ولم يلتفت إلى من خالفه كائنًا من كان ولم يجز اتباع أحد في خلاف ذلك كائنًا من كان كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة من اتباع الرسول وطاعته وأن الرجل الذي صدر عنه ذلك يعطي عذره حيث عذرته الشريعة بأن يكون مسلوب العقل أو ساقط التمييز أو مجتهدًا مخطئًا قوليًا أو عمليًا أو مغلوبًا على ذلك الفعل أو الترك بحيث لا يمكنه رد ما صدر عنه من الفعل المنكر بلا ذنب فعله ولا يمكنه أداء ذلك الواجب بلا ذنب فعله ويكون هذا الباب نوعه محفوظ بحيث لا يتبع ما خالف الكتاب والسنة ولا يجعل ذلك شرعة ولا منهاجًا بل لا سبيل إلى الله ولا شرعة إلا ما جاء به محمد رسول الله ﷺ .

وأما الأشخاص الذين خالفوا بعض ذلك على الوجوه المتقدمة فيعذرون ولا

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٨٦) .

(٢) اقتضاء الصراط (٢ / ٥٨٠) .

يذمون ولا يعاقبون فإن كل أحد من الناس قد يؤخذ من قوله وأفعاله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وما من الأئمة إلا من له أقوال وأفعال لا يتبع عليها مع أنه لا يذم عليها وأمَّا الأقوال والأفعال التي لم يُعلم قطعا مخالفتها للكتاب والسنة بل هي موارد الاجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بَيَّنَ الله له الحق فيها لكنه لا يمكنه أن يلزم الناس بما بان له ولم يبين لهم »[١] .

ثم إن النقل عن إبراهيم الحربي في سنده أبو عبد الرحمن السَّلمي وهو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى كبير الصوفية في خرسان تكلم فيه حتى رمى بأنه يضع الأحاديث للصوفية . وله في كتاب حقائق التفسير من تأليفه أشياء عدت زندقة[٢] .

ولو صح ما جاء عن إبراهيم الحربي فقد خالفه من هو أكبر منه من العلماء لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية « الذى ذكرنا كراهتة [أي كراهة قصد الدعاء عند القبور] لا ينقل في استحبابه – فيما علمناه – شيء ثابت عن القرون الثلاثة – التى أثنى النبي ﷺ عليها حيث قال « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[٣] مع شدة المقتضي فيهم لذلك لو كان فيه فضيله ، فعدم أمرهم وفصلهم لذلك مع قوة المقتضى لو كان فيه فضيله ، فعدم أمرهم وفعلهم لذلك مع قوة المقتضى لو كان فيه فضل – يوجب القطع بأن لا فضل فيه ، وأما من بعد هؤلاء فأكثر ما يفرض : أن الأمة أختلفت ، فصار كثير من العلماء أو الصديقين إلى فعل ذلك ، وصار بعضهم إلى النهي عن ذلك ، فإنه لا يمكن أن يقال قد اجتمعت الأمة على استحسان ذلك لوجهين :

أحدهما : أن كثيرًا من الأمة كره ذلك وأنكره قديمًا وحديثًا .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٨٤ ، ٣٨٣) .

(٢) راجع اليسير (١٧ / ٢٤٧) للذهبي ، والوافى بالوفيات (٢ / ٣٨٠) .

(٣) رواه البخاري (٣١٧) ومسلم (٤ / ١٩٦٢ - ١٩٦٤) .

الثاني : أنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحسان فعل لو كان حسنًا لفعله المتقدمون ، ولم يفعلوه ، فإن هذا من باب تناقض الإجماعات ، وهي لا تتناقض ، وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم ، هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصًا واستنباطًا . فكيف - والحمد لله - لا ينقل هذا عن إمام معروف ولا عالم متبع ، بل المنقول في ذلك إما أن يكون كذبًا على صاحبه ، . . . وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف . . . ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله ، باجتهاد يخطىء ويصيب ، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه ، فحرف النقل عنه . . »[١] .

قلت : تبين من كلام شيخ الإسلام السابق أن العبرة في الاحتجاج بما كان عليه السلف الصالح من القرون الأولى الثلاثة المفضلة أما اختلاف المتأخرين فالفاصل بينهم في محل النزاع الكتاب والسنة ولا حجة في قول ولا فعل دون قول أو فعل رسول الله ﷺ وصحابته الكرام . وعلى هذا نقول لو صح ما نقل عن إبراهيم الحربي في قبر معروف الكرخى لا يصح أن يكون دليلًا على استحباب قصد الدعاء عند القبور .

وكما نقل عن إبراهيم الحربي في قبر معروف كذلك نقل عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهرى قال سمعت أبي يقول : قبر معروف الكرخى مُجَّرب لقضاء الحوائج ، ويقال : إنه من قرأ عنده مائة مرة « قل هو الله أحد » وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله [له] حاجته[٢] .

قلت : هل صح ذلك عن أصحاب رسول الله ﷺ وهل فعل ذلك أحد منهم عند قبر أبي بكر أو عثمان أو قبور غيرهم و عدد منهم دفنوا في البقيع ولم ينقل عن أحد منهم أنه فعل ما جاء في هذا الأثر .

---

(١) اقتصاء الصراط المستقيم (٢ / ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣) بتصرف .

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١ / ١٢٢ - ١٢٣) .

ومما يضّعف هذا الأثر قوله ويقال إن من قرأ عنده مائة مرة . . . إلخ ثم إن التجريب ليس دليلًا على صحة المسألة أساسًا وإذا كان مستند هؤلاء التجريب فهل يعد التجريب دليلًا شرعيًا في دين الله ؟ وقد سبق رد قول من احتج بالتجريب في دين الله .

وقريب من الأثر السابق أثر آخر عن أبي عبد الله بن المحاملي .

يقول : « أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه »(١) .

ومثله أيضًا ما قاله الحسن بن إبراهيم أبو علي الخلّال : « ما همّنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهّل الله تعالى لى ما أحب »(٢) .

قلت : هذه الأقوال وغيرها لو صحت فلسنا متعبدين بها بل هى أقوال تفتح الطريق أمام العوام ليقوموا بمزيد من الأفعال الشركية والأقوال عند القبور من دعاء المقبور والاستغاثه به والنذر له والذبح له وعنده غير ذلك مما لا يستحق إلا لله عز وجل .

وفي نفس الوقت لو صحت هذه الأقوال إلى قائليها وهذه الأفعال إلى فاعليها فإنما هي اجتهادات يخطئ ويصيب أصحابها ولسنا ملزمين بالأخذ بها حتى نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله وفعل سلف الأمة من القرون المفضلة وتقليد العالم في اجتهاد اخطأ فيه . . على ذلك ليس من نهج المتبعين لرسول الله ﷺ .

ومن أكبر الآثار السيئة لانتشار مثل هذه الأقوال والأفعال أن يعتقد كثير من العامة أن الميت ينفع أو يضر أو أن هذه القبور تدفع البلاء عن أهل الناحية أو البلد .

---

(١) الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد (١ / ١٢٣) وسنده هكذا حدثنا أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله الصورى قال سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع يقول سمعت أبا عبد الله بن المحاملى يقول . . . فذكره وفي سنده من لا يعرف بجرح ولا تعديل .

(٢) رواه الخطيب البغدادى في تاريخ بغداد (١ / ١٢٠) وسنده هكذا أنبأنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذى قال : (أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى قال سمعت الحسن بن إبراهيم أبا على الخلال يقول فذكره . .) . وفي سنده من ليس معروفاً .

ولماذا نذهب بعيدًا فقد احتج من ينشر تلك الأقوال بما رواه الخطيب بسنده عن أحمد بن العباس قال خرجت من بغداد فاستقبلنى رجل عليه أثر العبادة ، فقال لى : من أين خرجت به **قلت** : من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد ، وخفت أن يخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف ، فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا . قلت : من هم ؟ قال : ثَمَّ الإمام أحمد بن حنبل ، ومعروف الكرخى ، وبشر الحافي ، ومنصور بن عمار . فرجعت وزرت القبور ولم أخرج تلك السنة[(١)] .

وهذه القصة لا تصح وهي مخالفة للنصوص الشرعية لوجوه عدة :

أولها : أن سندها لا يصح ففي اسنادها أبو عبد الرحمن السلمي وقد سبق الكلام عليه ويروي هذا الأثر عن أبي بكر الرازي .

قال الحافظ الذهبي عنه « يروى عنه أبو عبد الرحمن السلمى بلايا وحكايات منكرة »[(٢)] .

قلت : ما من شك أن تلك الحكايات منها هذه الحكاية التى نحن بصدد الكلام عنها .

ثانيًا : أن في الأثر شخص مجهول ولا يدرى من هو الذي أشار على أحمد بن العباس بأن القبور المذكورة حصن من البلايا . فقد يكون هذا الشخص جنيًا في صوره إنس ظهر ليضل الناس وما أكثر ما يتشكل الجن بصورة الإنس قال شيخ الإسلام ابن تيمية معقبًا على هذه القصة : « وهذا الشخص الذى قال هذا هو مجهول لا يعرف ، وقد يكون جنيًا وقد يكون أنسيًا فإن الجن كثيرًا ما يتصور في

---

(١) تاريخ بغداد (١ / ١٢١) وسندها كالآتى قال الخطيب أخبرنا أبو عبد الرحمن بن إسماعيل بن أحمد الحيرى الضرير قال أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور قال سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت عبد الله بن موسى الطلْمى يقول سمعت أحمد بن العباس يقول . . . فذكره .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٣٦٤ - ٣٦٥) ، شذرات الذهب (٣ / ٨٧) .

صورة الإنس ويقول أحدهم لمن ينفرد به في البرية أنا النبي فلان ، أو الشيخ فلان أو الخضر ومثل هذا كثير معروف تطول حكاية آحادة فإنها لا تحصى كثرتها »[١] .

ثالثًا : أن وجود قبور لو كانت قبور الأنبياء والصالحين في مكان لا يعنى ذلك أنهم في أمان من نزول العذاب مع إسراف أهل المكان في الذنوب والمعاصي ومن ظن ذلك كان مخطئًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « وهؤلاء قد يظنون أن وجود النبي ﷺ مقبورًا بينهم مثل وجوده في حياته ، والله تعالى يقول ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنقال : ٣٣] وهذا غلط عظيم .

فقد روى الترمذى . . . عن أبي موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ أنزل الله أمانين لأمتي ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار[٢] .

فقد بيّن أن الأمان بوجوده هو في حياته وأنه بعد موته لم يبق إلا الاستغفار ليس في وجود القبر أمان .

وكذلك في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعرى عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم في السماء أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتى ما يوعدون »[٣] .

ومما يوضح الأمر في ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ما هو أكثر من غيره ، فإنه قد قيل بأن بني اسرائيل بعث فيهم ألف نبي ، ومع هذا فقد قال الله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ

---

(١) الرد على الاخنائى (ص ١٩١) .

(٢) الترمذي (٣٠٨٢) .

(٣) رواه مسلم (٤ / ١٩٦١) .

وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا * فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا * ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا * إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ - ٨] فقد بيّن الله أنهم إذا غلو وأفسدوا عاقبهم الله بذنوبهم وسلط عليهم العدو الذي جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل منهم من لا يحصى عدده إلا الله ولم يُجِرْهُم أحد من قبور الأنبياء التى كانت هناك إنما الناس يجزون بأعمالهم . . . إلى أن قال : وكان أهل المدينة النبوية على عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان أحسن أهل المدائن حالًا ، ونعمة الله عليهم أعظم النعم لكونهم كانوا مطيعين الله ورسوله وكانت الخلفاء تسوسهم سياسة نبوية ، فلما تغيروا وقتل بينهم عثمان رضي الله عنه تغير الأمر وحصل لهم من الخوف والذل ثم أصابهم من السيف ما أصابهم ، ورسول الله ﷺ مدفون بالحجرة وقد بلغهم الرسالة وأدى الأمانة ، ولم يضمن لهم أنه موجود قبره أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين يندفع البلاء ، وإنما يندفع البلاء بطاعة الرسل لا بقبورهم ، فمن أطاعهم كان سعيدًا في الدنيا والآخرة ، ومن عصاهم استحق ما يستحقه أمثاله وإن كان عنده ما شاء الله من قبورهم .

إلى إن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ « وأهل بغداد أصابهم ما أصابهم[1] من السيف العام وعندهم

---

(١) **قلت** : ولا يخفاك ما صنعت قوات التحالف بقيادة الشيطان الأكبر حيث دكت العراق من الجو والبر والبحر بأطنان من المتفجرات والقنابل التي لم تترك مكانًا إلا وأصابته حتى يقال إن المقابر لم تسلم من قنابل الهجوم الغاشم ولا يزعم زاعم بعد هذا أن يقول إن قبور أهل بغداد منعت البلاء الذي نزل عليهم والحق أن من استحل الحُرُم حلت به النقم ولا يظلم ربك أحدًا قال الله تعالى ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قبور ألوف من أولياء الله زيادة على قبور الأربعة فلم تغن عنهم من الله شيئًا »[١] .

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر « وأما ما يظنه الناس من أن البلاء يندفع عن أهل البلد أو إقليم بمن هو مدفون عندهم من الأنبياء والصالحين . كما يظن بعض الناس أنه يندفع عن أهل بغداد البلاء لقبور ثلاثة : أحمد بن حنبل ، وبشر الحافي ، ومنصور بن عمار ويظن بعضهم أنه يندفع عن أهل الشام بمن عندهم من قبور الأنبياء : الخليل وغيره عليهم السلام . وبعضهم ظن أنه يدفع البلاء عن أهل مصر بنفيسة[٢] أو غيرها ، أو يندفع عن أهل الحجاز بقبر النبي ﷺ وأهل البقيع أو غيرهم . فكل هذا غلط مخالف لدين الإسلام ، مخالف للكتاب والسنة والإجماع . فبيت المقدس كان عنده من قبور الأنبياء والصالحين ما شاء الله ، فلما عصوا الأنبياء وخالفوا ما أمر الله به ورسله سلط الله عليهم من انتقم منهم »[٣] .

رابعًا : أن الثواب والعقاب إنما هو مرتب على العمل فأعمال الناس يترتب عليها إثابتهم وعقوبتهم ولا دخل للقبور أيا كانت فمن أطاع هدى إلى صراط مستقيم ومن خالف وعصى ما أمر الله به ورسوله كان له من العقاب بحسبه .

وقد ورد في الصحيح قول النبي ﷺ : « يا عباس يا عم رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا يا فاطمة بنت رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا »[٤] .

وقال ﷺ أيضًا لمن ولّاه : « لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك له من الله شيئًا قد بلغتك »[٥]

---

(١) الرد على الإخنائى ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) وهل دفع القبر عن أهل مصر الزلازل والفيضانات التى حلت بأهل البلاد ،

(٣) الجواب الباهر ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) رواه مسلم (٣٥١) (٢٠٦) والدارمي (٢ / ٣٠٥) .

(٥) رواه مسلم (١٨٣١)

إلى غير ذلك من الأحاديث التى أحصيها تدل على أن الله تعالى لا يحابى أحدًا – بل الأمر كما قال « إنما هى أعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[١] .

إذا علم هذا فينبغى على المسلم أن يدرك قيمة العمل الصالح والحرص عليه والاجتهاد في ذلك . ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « وإنما الثواب والعقاب على الأعمال المأمور بها والمنهي عنها وكان النبي ﷺ قد آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء وكان أبو الدرداء بدمشق وسلمان الفارسى بالعراق فكتب أبو الدرداء إلى سلمان : هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان إن الأرض لا تقدس أحدًا إنما يقدس الرجل عمله »[٢] .

قلت : قريب من قول سلمان رضي الله عنه قول عمر رضي الله عنه لما رأى خيمة على قبر قال انزعها يا غلام إنما يظله عمله »[٣] .

وأما ما ذكره الأدفوى في تراجم من سبقوا فإن هذا لا يفيد شيئًا .

قال الشيخ الانصارى رحمه الله بعد كلام الأدفوى السابق فقد خالف ما ذكره الأدفوى في راجم هؤلاء الأشخاص هدى النبي ﷺ في زيارة القبور فإن هديه في زيارتها أن يقول الزائر ويفعل عند زيارتها – أي القبور – من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار كما بينه ابن القيم في « زاد المعاد في هدى خير العباد واتبعه قوله « وأَبَى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والاقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانه به والتوجه بعكس هديه ﷺ فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت ، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم أقسام : إما أن يدعو الميت ، أو يدعو به ، أو عنده ، ويرون الدعاء

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٥٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٢) الجواب الباهر ص ١٢٨ .

(٣) ذكره البخاري تعليقاً وجزم به (١ / ٤١٨) .

عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين وبالله التوفيق ولم يقتصر صاحب « الطالع السعيد » على هذا النوع من الغلو المتمثل في التعلق بقبور أولياء كتابه ، بل أضاف إليه دعوى أن بعضهم يتصرف في الكون ، ودعوى أن بعضهم يعلم الغيب ودعوى اجتماع بعضهم بالنبي ﷺ يقظة »(١) .

وقال الشيخ الأنصارى أيضًا عن كتاب الأدفوى الطالع السعيد الذى نقلنا منه تلك التراجم قال « وأما الطالع السعيد فقد انحرف فيه مؤلفه الأدفوى انحرافًا يوجب عدم الاعتماد عليه »(٢) .

وأما احتجاجهم بقول الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة السيدة نفيسة رضي الله عنها : قد رد المعلق على كتاب سير أعلام النبلاء عند هذا الموضع بقوله : « لم يثبت عنه ﷺ شيء في كون الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين والسلف الصالح لا يعرف عنهم أنهم كانوا يقصدون قبور الأنبياء والصالحين للدعاء عندهم »(٣) اهـ .

* ثم أقول : ونحن وإن كنا نقطة في بحر علم الذهبي رحمه الله فإننا لا نرد عليه إلا بقوله قال رحمه الله في ترجمة وكيع بن الجراح : « وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك فلا قدوة في خطأ العالم »(٤) اهـ .

* أقول : وهذا حكم بالطبع ينسحب على عالمنا الذهبي رحمه الله .

ونحن ولله الحمد لا ننسى محاسن الحافظ الذهبي على أن الحافظ الذهبي رحمه الله

---

(١) القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ للشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٥٥ .

(٣) السير (١٠ / ١٠٧) .

(٤) السير (٩ / ١٤٤) .

قد صرح في بعض المواضع أن سبب إجابة الدعاء عند القبر ليس ذات القبر بل اضطرار الداعي وإخلاصه وخشوعه .

فيقول « والدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء ، وفي سائر البقاع لكن سبب الإجابة حضور الداعي ، وخشوعه وابتهاله ولا ريب في البقعة المباركة ، وفي المسجد ، وفي السحر ، ونحو ذلك ، يتحصل ذلك للداعي كثيرًا ، وكل مضطر فدعاؤه مجاب »(١) .

قلت : وما أثبته الحافظ الذهبي هنا من الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء ، فهذا يحتاج إلى دليل شرعي ينص على ذلك فإن كان مستند ذلك التجريب فقد سبق الرد على ذلك وإن كان مستند ذلك النصوص الشرعية فأين هي ؟ .

أضف إلى ذلك بأن تحري الدعاء عند القبور وسيلة غير مشروعة فكيف يتخذها العبد المسلم وسيلة ؟

ولا نغمط فضله بل نغترف من بحر علمه رحمه الله ولكن كما قيل لكل عالم هفوة بل هفوات والله يغفر السيئات .

* وأما ما نقل عن ابن الجزري وتابعه الشوكاني فإنهما يقيدان الدعاء عند القبور بما لم يفض إلى مفسدة كاعتقاد النفع والضر في الميت أو غير ذلك ومع قولهم هذا بالقيد السابق فإنهما ينازعان في أصل المسألة وهي الاستحباب بدون القيد الذي ذكروه وإن كان هذا القيد الذي ذكروه قد يُضيِّق الأمر على عُبَّاد القبور ولكن مازال النزاع معهما قائم في القول باستحباب قصد الدعاء عند القبور وقد سبق الرد على من قال بالاستحباب في الأدلة التي سقناها من وجوه متعددة ثم إن العلامة صديق حسن خان قد رد عليهما في نزل الأبرار وقد سبق النقل عنه في ذلك ، وقد احتجا صاحب عدة الحصن الحصين وتحفة الذاكرين بالتجربة أيضًا وسبق الكلام على

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧ / ٧٧) .

القول بالتجريب في المسائل الدينية .

* وأما قول العلامة الشوكاني بأن حال الداعي عند القبر أشبه بحال الجالس في مجلس الذكر وشملته الرحمة .

فإن هذا المثال لا مدخل له في مسألتنا التي نحن بصددها وهذا الباب لا يصح فيه القياسات العقلية ولا مدخل لها فيه ولا يثبت حكم شرعي بمثل هذا مع احترامنا للعلامة الشوكاني ومع اعترافنا له بالعلم والورع .

* وأما ما ورد عن الشافعي رحمه الله فلا يصح عنه ذلك .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما أورد الأثر المروي[١] : « وهذا معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر يُنْتَاب للدعاء البتة ، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا ، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون لا عند أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون لا عند أبي حنيفة ولا غيره .

ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهية تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه »[٢] اهـ .

*** وأما احتجاجهم بفعل أهل قسطنطينية من الاستسقاء عند قبر أبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه فهذا الاستدلال لا يصح لوجوه**

---

(١) ومن العجائب أن الفقيه ابن حجر المكي قد أورد هذا الأثر عن الشافعي في كتابه الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان ولم يتكلم عليه بشيء .

(٢) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٨٦) .

أولها : أن هذا الأثر لا يصح سندًا حيث رواه الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ بلاغًا وقال بلغني . . ومن المعلوم أن ما كان هذا سبيله فلا يحتج به ولذا فقد أورده شيخ الإسلام مضعفًا إياه بقوله : « ويذكر أن قبر أبي أيوب »(١) وفي موضع آخر قال « ويروى »(٢) وهي صيغ يستفاد منها ضعف الأثر .

ثانيها : على فرض صحة الأثر فلا حجة فيه أيضًا لأن القدوه في أصحاب رسول الله ﷺ وليس في أهل قسطنطينية ولا غيرهم ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « ويذكر أن قبر أبي أيوب الأنصارى عند أهل القسطنطينية كذلك [أي يستسقون عنده] ولا قدوه بهم فقد كان من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير ، وعندهم التابعون ، ومن بعدهم من الأئمة وما استغاثوا عند قبر صاحب قط ، ولا استسقوا عند قبره ، ولا به ، ولا استنصروا عنده ولا به ، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل ما هو دونه ، ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعًا أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها أصلًا بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعله من جهالهم »(٣) .

ثالثها : أن الاستسقاء عند القبور وتحرى الدعاء عندها من صنيع من سبق من الأمم السابقة ويظهر ذلك من أثر أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ وهاك نصه قال رَحِمَهُ اللَّهُ « لما فتحنا تستر(٤) ، وجدنا في بيت مال الهرمزان(٥) ، سريرًا عليه رجل ميت ، عند رأسه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦٨٧) .

(٢) الجواب الصحيح (٦/ ١١٨)

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦٨٧) .

(٤) مدينة بإقليم خدستان فتحها أبو موسى الأشعري أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنها انظر معجم البلدان (٢ / ٢٩ - ٣١) .

(٥) الهرمزان : من قوّاد الفرس الذين حاربوا جيوش الفتح في العراق وهو ملك الأهواز هزمه المسلمون حيث فتحوا تستر البداية والنهاية (٧ / ٨٥ ، ٩٨) .

مصحف له ، فأخذنا المصحف ، فحملناه إلى عمر رضي الله عنه ، فدعا له كعبًا ، فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثل ما أقرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية : ما كان فيه؟ قال سيرتكم وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه ، وسوينا القبور كلها لنعمِّيه على الناس لا ينبشونه »

فقلت وما يرجون منه ؟ قال كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريرة فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ . . . قال : رجل يقال له دانيال فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع »[١] .

ففي أثر أبي العالية أن الاستسقاء وتحرى الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين إنما هو من صنيع أهل الكتاب ولم يأت في شرعنا ما يوافقه بل في شرعنا ما يخالفه صنيع أهل الكتاب بل في هذا الأثر السابق دلالة على أن تحرى الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز لما فعله الصحابة بقبر دانيال .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « ففي هذه القصة : ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره ، لئلا يفتتن به الناس وهو إنكار منهم لذلك »[٢] .

رابعها : ثم على فرض صحة الأثر[٣] أيضًا فلا حجة فيه على جواز فضلًا عن استحباب تحرى الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين لأن نزول المطر هو بسبب اضطرار حال الداعي وليس للغير تأثير في ذلك والله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا لقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

---

(١) رواها بن اسحاق في السيرة من زيادات يونس بن بكير وقال الحافظ ابن كثير . إسناده صحيح إلى أبي العالية ، البداية والنهاية (٢ / ٤٠ - ٤٢) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦٨٧) .

(٣) أي أثر استسقاء أهل القسطنطينية عند قبر أبي أيوب .

خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وقد يقال عن الأثر هو شرع من قبلنا ولسنا ملزمين به ما لم يوافقه شرعنا على الراجح في علم الأصول .

وقال الله تعالى واصفًا حال المشركين ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾

وهذا الاضطرار لو دعا به الداعي في غير مكان القبر لاستجيب له أيضًا فلا دخل للقبر في ذلك . والله أعلم .

وما قيل في احتجاجهم بأثر استسقاء أهل قسطنطينة بقبر أبي أيوب رضي الله عنه .

يقال مثله في استسقاء الترك بقبر عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي .

*** وأما ما ذكروه عن معروف الكرخي أنه أوصى ابن أخيه يدعو عند قبره .**

* فيقال : قد يكون أوصاه أن يستغفر له بعد الدفن أو أوصاه بأن يزوره ويدعو له أما أن يقصد تحري الدعاء عنده فلا يفهم ذلك من النقل هذا إذا ثبت النقل عنه وإلا فقد رأيته أيضًا بلا إسناد منقول عن معروف الكرخي . ويحتمل أن يكون معروفا رضي الله عنه قال لابن أخيه ذلك بشروط لا تنافي ما جاء في السنة ولم ينقل إلينا أو نُقِلَ وحُرف عن معروف رحمه الله .

*** وأما ما ذكروه عن ابن أبي فديك فهذا الأثر لا حجة فيه وقد فنَّده شيخ الإسلام رحمه الله وهاك ملخص كلامه :**

أولا : أن ابن أبي فديك روى هذا عن مجهول وذكر هذا المجهول أنه بلاغ عمن لا يعرف ومثل هذا لا يثبت به شيء أصلًا .

ثانيًا : أن ابن أبي فديك متأخر في حدود المائة الثانية ، ليس هو من التابعين ولا من تابعيهم المشاهير حتى يقال قد كان هذا معروفا في القرون الثلاثة وحسبك أن أهل العلم بالمدينة لم ينقلوا شيئًا من ذلك .

ثالثًا : مما يُضعف هذا الأثر ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال :
« من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرًا »[١] فكيف يكون من صلى عليه سبعين مرة جزاؤه أن يصلي عليه ملك من الملائكة .

رابعًا : أن هذا الأثر إنما يقتضي استحباب الدعاء للزائر في ضمن الزيارة كما ذكر العلماء ذلك في مناسك الحج وليس هذا مسألتنا فإنا قد قدمنا أن من زار زيارة مشروعة ودعا في ضمنها لم يكره هذا . إنما المكروه الذي ذكرناه قصد الدعاء عنده ابتداءً .

خامسا : أن الاستجابة التي أرادها في الأثر هنا لعلها لكثرة صلاته على النبي ﷺ فإن الصلاة عليه قبل الدعاء وفي وسطه وآخره من أقوى الأسباب التي يرجى بها إجابة سائر الدعاء كما جاءت به الآثار .

وأما قولهم : إن بعض من صنف في مناسك الحج ذكر أن الحاج إذا زار قبر النبي ﷺ فإنه يدعو عنده .

* فنقول : إن الدعاء عند زيارة الميت ضمنًا وتبعًا لا بأس به ولكن قصد الدعاء ابتداءً هو الخطأ .

* وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله في آداب الزيارة للرسول ﷺ عند قبره الشريف : « والصحابة إذا أراد أحدهم أن يدعو لنفسه استقبل القبلة لا القبر ودعا في مسجده ﷺ لا يقصدون الدعاء عند الحجرة ولا يدخل أحدهم إلى القبر »[٢] .

* وقال رحمه الله : « لم يقل أحد من العلماء أن الدعاء مستجاب عند قبره ﷺ ولا أنه يستحب أو يتحرى الدعاء متوجهًا إلى قبره »[٣] .

---

(١) رواه مسلم (١ / ٣٠٦) كتاب الصلاة : باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ولفظه (من صلى علي واحدة . . الحديث) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٢٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٢٥) .

وأما احتجاجهم بالأثر المروي عن ربيعه فلا حجة لهم فيه لوجوه :

أولاً : السند إليه تالف : ففيه محمد بن الحسن بن زبالة قال الحافظ في « التقريب » : « متهم بالكذب » . راجع ترجمته في « التهذيب » .

ثانيًا : على فرض ثبوت القصة فإنها تتضمن كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : « إن الذي فعله هذا الرجل أمر مبتدع عندهم لم يكن من فعل الصحابة وغيرهم من علماء أهل المدينة وإلا لو كان هذا أمرًا معروفا من عمل أهل المدينة لما استغربه جلساء ربيعة .

ثالثًا : وأما قول ربيعه لجلسائه « دعوه فإنما للمرء ما نوى » .

* فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « أراد ربيعة والله أعلم أن من كان له نية صالحة أثيب على نيته وإن لم يكن الفعل الذي فعله مشروعًا إذا لم يتعمد مخالفة الشرع يعني فهذا الدعاء وإن لم يكن مشروعا لكن لصاحبه نية صالحة يثاب على نيته ، فيُستفاد من ذلك أنهم مجمعون على أنه غير مستحب ولا خصيصة في تلك البقعة وإنما الخير يحصل من جهة نية الداعي .

رابعًا : أما قولهم إن ربيعة لم ينكر على الداعي .

* فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله : « لم ينكر ربيعة عليه إما لأنه لم يبلغه أن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ قبره عيدًا وعن الصلاة عنده فإن ربيعه كما قال أحمد : كان قليل العلم بالآثار .

أو بلغه ذلك لكن لم ير مثل هذا داخلًا في معنى النهى أو لأنه لم ير هذا محرمًا وإنما غايته أن يكون مكروها وإنكار المكروه ليس بفرض أو أنه رأى أن ذلك الرجل إنما قصد السلام ، والدعاء جاء ضمنًا وتبعًا وفي هذا نظر »[1] .

أَمَا وقد ثبت ضعف الأثر ابتداءً فالحمد لله على توفيقه .

وأما قولهم « وبالجملة فقد نقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٧٢٢ ، ٧٢٤) .

الأنبياء والصالحين . . . فاستجيب لهم وعلى هذا عمل كثير من الناس .

* فنقول : قد سبق بيان أن التجارب في مثل هذه الأمور لا يعتمد عليها في استنباط حكم شرعي . وقولهم : وهذا عمل كثير من الناس .

* ونقول : إن العمدة على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف السابقون والحق ضالة المؤمن المتبع فاعرف الحقق تعرف أهله واجر السنة على نفسك ظاهرًا وباطنًا تسلم من كل مكروه وسوء

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع الخلف

الدليل الثالث

*** وقال المستحبون للدعاء عند المقابر : لقد سمعنا عن منامات صالحة لهؤلاء المقبورين تدل على صلاحهم وصحة سلوكهم وقد ثبت أن المنامات بشارات للمؤمن وسمعنا أيضًا أن بعض هذه المنامات تحكي أن الدعاء مستجاب عند هذه الأماكن التي دفن فيها الصالحون وكذلك ما ذكر عنهم من حكايات تدل على صلاحهم .**

وللإجابة على مثل هذا الدليل نقول : إن الأحكام الشرعية لا تُسْتَقى من منامات ورؤى منامية بل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم فالمنامات لا يترتب عليها أحكام شرعية ولو تواطأت .

ثم إن أكثر المنامات في كثير من الأحيان تكون كذبًا أو يدخلها الكذب والمبالغة لا سيما عند كثير من العوام الذين لا يفرقون بين الحية والحطب وأكبر همهم نشر كل ما قيل دون عرض ما يقال على كتاب الله وسنة رسوله .

* وكثيرًا ما تجد المروجون لهذه الحكايات والمنامات من السدنة عند هذه القبور ليتخذها هؤلاء سُلَّما لأكل أموال الناس بالباطل وأكثر هذه الحكايات من تزيين الشيطان ووسوسته

* ثم إن كثيرًا ما نشاهد من المشاهد والأضرحة والقبور بناءً على رؤيا منامية رآها بعض الناس ثم قام من نومه فروَّج هذا المنام وزعم أن في هذا المكان وليًا أو نبيًا ، وهذا حتى لو ثبت لا يوجب فضيلة لقصد تلك القبور وبعضهم يزعم أن النبي ﷺ جاءه في المنام وأمره بالدعاء عند قبر فلان وفلان لأن الدعاء عندها مستجاب .

* قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وكذلك مشاهد تُضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين بناءً على أنه رؤى في المنام هناك ورؤية النبي ﷺ أو الرجل الصالح لا توجب لها فضيلة تقصد البقعة لأجلها وتتخذ مصلى بإجماع

المسلمين وإنما يفعل هذا وأمثاله أهل الكتاب »[١] .

قلت : وقد نص العلماء على أن الرؤيا إذا خالفت حكما شرعيًا فلا يُعْتَدُّ بها ولا يعتبر .

* قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ « إن الرؤيا والخوارق لا يصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية ، قال : فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًا ليس بحق في نفسه بل هو : إما خيال أو وَهْم ، وإما من إلقاء الشيطان ، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضة لما هو ثابت مشروع وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عام لا خاص ، وأصله لاينخرم ولا ينعكس له إطراد ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلف ، وإذا كان كذلك فكل ما جاء من هذا القبيل الذى نحن بصدده مضادًا لما تمهد في الشريعه فهو فاسد باطل ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حكم شهد عنده عدلان مشهودان بالعدالة في أمر ، فرأى الحاكم في منامه أن النبي ﷺ قال له : لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة ، فمثل هذا من الرؤيا لا يعتبر به في أمر ولا نهى ولا بشارة ولا نذارة لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة »[٢] .

* وقال الحافظ ابن كثير تعليقًا على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد ابن كثير : أنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل ، واستحلف هابيل أن هذا ، أى الدم الموجود بالمكان الذي يقال - بأنه هو الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل المسمى بمغارة الدم بدمشق - دمه - أى هابيل - فحلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه إلى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ وقال : إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٥٠) .

(٢) الموافقات (٢ / ٢٦٦) .

قال ابن كثير تعليقا على ذلك ما نصه : « هذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى »(١) .

وقال أبو زرعة العراقى رحمه الله « لو أخبر صادق عن النبي ﷺ في النوم بحكم شرعى مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده وذكر بعضهم أن سبب ذلك نقص الرائي بعدم ضبطه وقد حكى عن القاضي حسين أن شخصاً قال عن صيام يوم الشك : رأيت النبي ﷺ وقال لي صم غداً أو نحو ذلك فقال عن القاضي : قد قال كذا في اليقظة لا تصوموا غدًا فنحن نعتمد على ذلك »(٢) .

وقال ابن الحجاج المالكى رحمه الله « ليحذر ممن يقع لبعض الناس في هذا الزمان وهو أن من يرى النبي ﷺ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء ينتبه من نومه ، فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩]

ومعنى قوله ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي إلى كتاب الله تعالى ومعنى قوله ﴿ وَٱلرَّسُولِ ﴾ أي إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته على ما قاله العلماء رحمة الله عليهم وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقًا لا شك فيه(٣) لقوله عليه الصلاة والسلام « من رآنى

---

(١) البداية والنهاية (١ / ٩٤) .

(٢) طرح التثريب (٨ / ٢١٥) .

(٣) نعم هو حق لا شك فيه إن كان الرائي قد رآه على صورته التي خلقه الله عليها وإلا فقد يرى الرائي غير النبي ﷺ ويعتقد أنه النبي ﷺ وهو ليس كذلك .

ولهذا قال الإمام الشاطبي نقلًا عن ابن رشد في تفسير قوله (من رآني فقد رآني حقًا) قال (وليس معنى قوله (من رآني فقد رآني حقًا) أن كل من رأي في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفه ويراه الرائي على صفته وغيره على صفةٍ أخرى ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته وإنما معنى الحديث من رآني على صورتي التي خلقت عليها فقد رآني إذ لا يتمثل الشيطان بي ، إذ لم يقل من =

في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتى على اختلاف الروايات لكن لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم قال عليه الصلاة والسلام : « رفع القلم عن ثلاثة » وعدَّ منهم « النائم حتى يستيقظ » لأنه إذا كان نائمًا فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في نومه هذا وجه ووجه ثان : وهو أن العلم والرواية لا يؤخذان إلا من مستيقظ حاضر العقل والنائم ليس كذلك ، ووجه ثالث : وهو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه حيث قال « تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » فجعل عليه الصلاة والسلام النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الثقلين فقط لا ثالث لهما . ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زاد لهما ثالث فعلى هذا من رأى النبي ﷺ في منامه وأمره بشئ أونهاه عن شيء فيتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة إذ أنه عليه الصلاة والسلام كلّف أمته باتباعهما . . . فإذا عرضها على شريعته عليه الصلاة والسلام فإن وافقتها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق ، وتبقى الرؤيا تأنيسًا له وإن خالفتها علم أن الرؤيا حق وأن الكلام الذي وقع له القاه الشيطان له في ذهنه والنفس الأمارة ، لأنها يوسوسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه ؟ »[(١)] .

ثم إن كثيرًا من العوام لا يعرف المقياس الصحيح لولاية الله تعالى فيظن أن الولي هو من علق في رقبته مسبحة طويلة وامتنع عن أكل اللحوم ولبس ملابس رثة

= رأى أنه رآني فقد رآني ، وإنما قال (من رآني فقد رآني) وأنّى لهذا الرائي الذي رأى أنه رآه على صورته أنه رآه عليها وإن ظن أنه رآه ما لم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها وهذا ما لا طريق لأحد إلى معرفته » الاعتصام (١ / ٢١٢) . ونقل ابن الحاجُ في المدخل عن القرافي قوله « قال العلماء لا تصح رؤيا النبي ﷺ قطعًا إلا لرجلين صحابي رآه ، أو حافظ لصفته حفظًا يحصل له من السماع ما يحصل للرائي عليه الصلاة والسلام من الرؤيا حتى لا يلتبس عليه » المدخل لابن الحاج (٤ / ٣٠٤) .

(١) المدخل (٤ / ٣٠٢ - ٣٠٤) .

وسكن الفلوات والغيران وترك الجمعة والجماعات وظهر له شبحان في الأماكن المختلفة في وقت واحد بل يظن بعضهم أن الولي من أكل لحوم القطط والحيوانات الميتة وما أشبه ذلك وكل ذلك ضلال مبين .

* فأولياء الله من ذكرهم الله تعالى في كتابه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٣] .

أولياء الله هم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

* أولياء الله هم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] .

ومن رام أوصافهم فليرجع إلى كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ .

* ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والآثار التي تروى في فضل المقامات والدعاء عندها أو الصلاة ليس لها أصل عن الصحابة إنما أصلها عمن أخذ عن أهل الكتاب »(١) .

وحتى لو ورد في فضلها بعض الأحاديث فهي ضعيفة ولا يمكن أن يثبت حكم شرعي بحديث ضعيف .

* قال شيخ الإسلام رحمه الله : « ولا يجوز أن يُقال إن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف ، لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعي له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تروى إذا لم يعلم أنها كذب »(٢) .

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) اقتضاء الصراط ٢ / ٦٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٨) .

تذييل مهم

لو قال قائل : أنا لا أعتقد الفضل للمكان ولكن سأدعو فيه وأتعبد وأقصده للتعبد ؟

نقول : كيف ذلك وهو يقصد المكان ويرى الناس يقصدون المكان فلا بد أن يقع في قلبه الخواطر والظنون التي تضعف إيمانه .

* ثم نقول : هذه الشبهة أجاب عليها شيخ الإسلام رحمه الله فقال : « لو فُرض أن الرجل قد يقول أنا لا أعتقد الفضل فلا يمكنه مع التعبد أن يزيل الحال الذي في قلبه من التعظيم والإجلال ، والتعظيم والإجلال لاينشأ إلا بشعور من جنس الاعتقاد ولو أنه وهم أو ظن أن هذا أمر ضروري فإن النفس لو خلت من الشعور بفضل الشيء امتنع مع ذلك أن تعظمه ولكن قد تقوم بها خواطر متقابلة فهو من اعتقاده أنه بدعة يقتضي منه ذلك عدم تعظيمه ومن حيث شعوره بما روى فيه أو بفعل الناس أو بأن فلانًا وفلانًا فعلوه أو بما يظهر له فيه من المنفعة يقوم بقلبه عظمته فعلمت أن فعل هذه البدع يناقض الاعتقادات الواجبة وينازع الرسل ما جاءوا به عن الله وأنها تورث القلب نفاقًا ولو كان نفاقا خفيفًا . ومثلها مثل أقوام كانوا يعظمون أبا جهل أو عبد الله بن أبي لرياسته وماله ونسبه وإحسانه إليهم وسُلطانه عليهم ، فإذا ذمه الرسول أو بَيَّنَ نقصه ، أو أمر بإهانته أو قتله ، فمن لم يخلص إيمانه ، وإلا يبقى في قلبه منازعة بين طاعة الرسول التابعة لاعتقاده الصحيح واتباع ما في نفسه من الحال التابع لتلك الظنون الكاذبة . فمن تدبر هذا علم يقينًا ما في حشو البدع من السَّموم المضعفة للإيمان ولهذا قيل : إن البدع مشتقة من الكفر »[1] اهـ .

* رحم الله شيخ الإسلام فإن هذه الكلمة منه تكتب بماء الذهب على صحائف الفضة . ثم نقول إن إِلْف الشخص لهذا المكان وكثرة تردده عليه ربما يؤثر ذلك في قلبه فيعتقد استحباب الدعاء عنده .

---

(١) اقتضاء الصراط (٢ / ٦٠٧ ، ٦٠٨) .

الخاتمة

وفي الختام نلخص ما سبق في أن :

* الدعاء عند القبور ، جائز بلا ريب ما لم يتحر الداعي الدعاء عندها فيكره أو يعتقد الداعي أنه مشروع أو يقصدها معتقدًا أن الدعاء عندها أفضل أو أقرب للإجابة أو أسرع إجابة ، فيكون ، مكروهًا أو حرامًا لأنه شَرَعَ في الدين ما ليس منه .

* أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقصد أحد منهم أي قبر للدعاء عنده فنعلم من ذلك أن قصد القبور للدعاء هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان .

* إن قصد الدعاء عند القبور لم يأمر به صاحب ولا تابع ولا أمر به أحد من الأئمة ولا ورد في ذلك حديث مرفوع أو موقوف .

* أن العلماء الذين صنفوا في الدعاء وفضله وأوقاته وأمكنته لم يدرجوا ضمن ذلك أن الدعاء عند القبور مستحب أو أجوب من غيره أو أسرع إجابة .

* لم يحفظ عن صاحب ولا تابع ولا إمام معروف أنه استحب قصد قبر من القبور للدعاء عنده ، ولا روى أحد في ذلك شيئًا لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن أحد من الأئمة المعروفين .

* قصد القبور للدعاء عندها رجاء الإجابة عندها أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من العلماء السابقين ولا الصالحين المتقدمين .

* أن الصحابة رضي الله عنهم أجدبوا مرات ودهمتهم مصائب وشدائد ، ولم يرد عنهم أنهم استغاثوا عند القبر ولا قصدوا الدعاء عنده بل خرجوا لصلاة الاستسقاء كما هي السنة .

* الدعاء لا يكره عند القبور مطلقًا بل يؤمر به كما جاءت به السنة كمن يمر بالقبور أو يزورها فيسنّ له أن يسلم عليها ويسأل الله تعالى العافية له وللموتى .

* السلام على قبور المسلمين والدعاء لهم وللداعي ضمنًا وتبعًا لا استقلالًا أمر مشروع جاءت به السنة .

* أن من زار القبور زيارة مشروعة ودعا في ضمنها لم يكره إنما المكروه قصد الدعاء عندها ابتداءً .

* أن استجابة الدعاء عند القبور لو حدثت فليس ذلك بسبب وجود القبر إنما سببه اضطرار الداعي أو غير ذلك من الأسباب التي لا يعلمها إلا الله .

* إن ما يحدث عند قبور الأنبياء وغيرهم من الكرامات أو خوارق العادات أو من نزول الرحمة عليها أو نزول العذاب بمن استهان بها فجنس هذا حق بل ما في قبورهم أعظم كرامة مما يتوهم كثير من الخلق ولا يقتضي ذلك كله استجابة الدعاء عند قبورهم أو الصلاة عندها .

* أن العلماء الذين صنفوا في المناسك وآداب الزيارة لم يذكروا فيها قصد الدعاء عند القبور وما كان عند قبر النبي ﷺ أن لا يفعل فأولى أن لا يفعل عند قبر غيره .

* أن الآثار التي وردت أن الدعاء مستجاب عند قبور بعض الموتى لا يثبت بها مشروعية الدعاء عند القبور ولو كان خيرًا لفعله الصحابة .

* أن المنقول عن العلماء في أن الدعاء مستجاب عند القبور أو عند بعض القبور فهذا النقل لم ينقل عن إمام معروف أو عالم متبع بل المنقول معلوم كذبه وأن الحكايات التي يقولها بعض الناس عن إجابة الدعاء عند بعض القبور موضوعة وضعها من قلّ علمه ودينه ، وغالبها عن مجاهيل لا يعرفون أو غير ثقات ، وعلى فرض ثبوتها فإنه لا يجوز بها إثبات العبادات وإنما المتبع في إثبات الأحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السابقين الأولين فلا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصًا أو استنباطًا .

وإلى هنا ألوى عنان القلم وأستغفر الله مما زلت به القدم ، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

فهرس الموضوعات

۞ ۞ ۞ ۞